وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

قسم التاريخ.

التواصل الحضاري بين مدينتي تلمسان وفاس ما بين القرنين (16-17 م) حركة العلماء -أنموذجا-

مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص: تاريخ الجزائر

إعداد الطالبتين:

- بوعشرية إيمان
- مدبر صفية

بإشراف الدكتور:

د/ سعيداني محفوظ

السنة الجامعية :2020/2019

شكر وتقدير

بعد شكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا في إتمام هذا العمل

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف 'محفوظ سعيداني'

لما قدمه لنا من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجازنا لهذه المذكرة،

ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة جزاء الله خير جزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كافة الأساتذة في قسم التاريخ وخالص

الشكر الجزيل لأعضاء اللجنة الذين سيناقشون المذكرة.

فشكرا.

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا

إلى من علمني معنى الاجتهاد أبي الغالي أطال الله عمره.

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي أمي الحبيبة حفظها الله.

إلى إخوتي وأخواتي وجميع أفراد أسرتي الكبيرة كل باسمه.

إلى زوجي الذي كان لي سندا في إعداد علمي المتواضع.

إلى كل من يعرفني ...لكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع

إيمان

إهداء

الحمد الله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا إلى الشمعة التي احترقت لتضيء دربي وتجعل السعادة والحب رمز الجملة قلبي إلى سر وجودي أبي وأمي اهدي ثمرة جهدي إلى.

من حفظت لهما جناح الذل من الرحمة، وقلت ربي ارحمهما كما ربياني في صغيرا إلى أبي رحمة الله الذي بفضله وصلت إلى ما أنا كلية اليوم.

إلى أمي الغالية أطل الله في عمرها وجعلها تاج فوق رؤوسنا.

إلى أخوتي وأخواتي، أعلي عائلتي صغيرا وكبيرا، وصديقاتي إلى زوجي الذي كان سندا لي.

إلى كل من علمني حرفا إلى كل من سلك طريقا يبقي فيه علما.

صفية

الفهرس

فهرس المحتويات	رقـــــــم الصفحة
تشكر	–
اهداء	–
اهداء	–
الفهرس	–
مقدمة	04-01
الفصل الأول: الأوضاع العامة في المغربين الأوسط والأقصى	
المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط	06
تمهيد	06
المطلب الأول: أوضاع المغرب الأوسط	10-06
المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط	11-10
المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى	12
المطلب الأول: الوضع السياسي العام في المغرب الأقصى	14-12
المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأقصى نهاية ق 15 و بداية القرن 16 م	16-15
الفصل الثاني: المكانة الثقافية في الجزائر والمغرب عامة وتلمسان وفاس خاصة	
المبحث الأول: المكانة الثقافية في الجزائر (تلمسان)	18
تمهيد	18
المطلب الأول: تلمسان جغرافيا وتاريخيا	21-19
المطلب الثاني: الحياة الثقافية في تلمسان أثناء العهد الزياني (ق 09 هـ -15 م)	23-21
المطلب الثالث: الحياة الثقافية في تلمسان أثناء العهد العثماني	25-23
المبحث الثاني: المكانة الثقافية في المغرب (فاس)	25
المطلب الأول: فاس جغرافيا وتاريخيا	27-25
المطلب الثاني: الحياة الثقافية في فاس في القرنين 16 و17م	31-27
الفصل الثالث: الرحلات المعاكسة لعلماء تلمسان وفاس	
المبحث الاول: علماء تلمسان بفاس	33
تمهيد	33
المطلب الأول: هجرة علماء تلمسان لفاس	43-34

المطلب الثاني: نماذج من علماء فاس في تلمسان	43-44
الفصل الرابع: نتائج التواصل الحضاري بين مدينتي تلمسان وفاس	
المبحث الأول: نتائج التواصل بين تلمسان وفاس	46
تمهيد	46
المطلب الأول: نتائج هجرة علماء تلمسان على فاس	47-49
المطلب الثاني: نتائج هجرة علماء فاس على تلمسان	49-50
خاتمة	52
قائمة المراجع	-

مقدمة

مقدمة:

إن ما قدمته مدينتي تلمسان وفاس من إشعاع ديني وعلمي، كان له صداه في العالم الإسلامي، الأمر الذي اوجد تواصلا وجسرا حضاريا بين المدينتين المجاورتين خلال الفترات التاريخية المتواترة، خصوصا منها الفترة الحديثة المنطلقة من القرن10هـ/16م، لذا يعتبر دراسة التواصل الحضاري بين المدينتين من المواضيع المهمة التي وجب التوقف عندها. خصوصا بعد الظروف التاريخية والسياسية المهمة على المنطقة المغاربية، خلال ق10هـ/16م داخليا وخارجيا، فبعد التدخل الإسباني والبرتغالي على السواحل المغربية والجزائرية، وما صاحبهما من ردود فعلية تمثلت في قيام الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، وارتباط الجزائر بالدولة العثمانية بالمغرب الأوسط.

دوافع اختيار الموضوع:

في إطار التخصص المدروس: تاريخ الجزائر الحديث، وقع اختيارنا على موضوع: التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس (10–11هـ/16–17م) حركة العلماء – أنموذجا – وذلك لعدة أسباب:

- البحث عن جذور التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس بالوقوف على أسباب ونتائج ذلك التواصل.
- بسبب نقص الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع مقارنة بالمجالات الأخرى (سياسي، عسكري، اقتصادي)، بالإضافة إلى الفراغ الذي عرفته تلمسان بفقدانها أبرز علمائها خلال هذه الفترة، وأغلبيتهم حطوا الرحال بفاس، الأمر الذي جعلنا نحاول إماطة اللثام عن العوامل التي أدت بهم إلى الهجرة، والنتائج المترتبة عن ذلك.
- إثراء رصيدنا المعرفي والعلمي على هذه الفترة من التاريخ.
- تحفيزات وتشجيعات وتوجيهات الأستاذ المشرف لتناول هذا الموضوع.

الإطار الزماني والمكاني للبحث:

من خلال ما سبق يتضح جليا أن فترة موضوع البحث شهدت تحولات كبيرة في شتى المجالات السياسية والحضارية، ما بين القرنين (10– 11هـ/16– 17م) زمنيا. أما مكانيا هو الجهة الغربية لإيالة الجزائر (تلمسان)، والجهة الشمالية الوسطى للمغرب الأقصى (فاس).

الإشكالية الرئيسية:

الإشكالية المطروحة في هذا الموضوع تتعلق بظاهرة التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس وارتكزت على العوامل التي مهدت للتواصل الحضاري بين فاس وتلمسان؟ وما النتائج التي ترتبت عن ذلك؟

التساؤلات الفرعية:

– كيف كانت الأوضاع العامة في المغربين (الأوسط – الأقصى) مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر هجري / الخامس عشر والسادس عشر ميلادي؟

– بما تميزت الحياة الثقافية في ظل تلك الكيانات السياسية بالمغربين؟

– من هم العلماء الذين قاموا برحلات معاكسة من وإلى المغربين؟

– ماهي آثار التواصل الحضاري على المغرب الأوسط، وعلى الأماكن المهاجر إليها من جهة ثانية؟

خطة العمل:

اعتمدنا في موضوعنا على خطة اشتملت على أربعة فصول:

الفصل الأول: خصصته للأوضاع العامة في البلدين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى وقد قسمته إلى مبحثين، المبحث الأول تناولنا فيه الأوضاع العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن 16م، وقد قسمناه إلى مطلبين، المطلب الأول تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط، أما الثاني فتحدثنا فيه عن الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط نهاية القرن الخامس عشر ميلادي و بداية القرن السادس عشر ميلادي، والمبحث الثاني فقد خصصناه لأوضاع المغرب الأقصى خلال نهاية القرن 15م و بداية القرن 16م، قسمناه إلى مطلبين، المطلب الأول تناولنا فيه الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، أي فترة الدولة السعدية التي حكمت المغرب الأقصى بعد صراع مرير مع الوطاسيين، و الثاني تناولنا فيه الأوضاع الثقافية بالمغرب الأقصى.

الفصل الثاني: فعنوناه بالمكانة الثقافية في الجزائر والمغرب عامة، تلمسان وفاس على وجه الخصوص مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م والقرن 17م، تطرقنا في المبحث الأول للمؤسسات الثقافية التي كانت قائمة أثناء العهد الزياني حتى العهد العثماني بالجزائر أيضا تكلمنا عن حاضرة تلمسان ومكانتها العلمية، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى المكانة الثقافية بالمغرب الأقصى نهاية العهد الزياني وخلال العهد العثماني، إذا تحدثنا عن المؤسسات التعليمية التي كانت آنذاك والمكانة العلمية التي حظيت بها الحضارة فاس.

الفصل الثالث: فقد تحدثنا فيه عن نماذج من علماء تلمسان وفاس الذين قاموا برحلات معاكسة من وإلى تلمسان وفاس، قسمناه إلى مبحثين، الأول كان بعنوان هجرة علماء تلمسان إلى فاس في القرنين 16م / 17م، حيث ركزنا على تلمسان كقاعدة انطلاق بعدد هائل من العلماء الذين كانت وجهتهم فاس وقمنا بترجمة موجزة لأبرز العلماء، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه هجرة علماء فاس صوب تلمسان.

الفصل الرابع: فلقد تطرقنا فيه إلى النتائج المتوصل إليها من خلال ذلك التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس، حيث تحدثنا فيه عن الآثار المترتبة عن هجرة العلماء من تلمسان إلى فاس والعكس.

وختمنا هذه المذكرة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلنا إليها في البحث، أتبعت الخاتمة بملاحق، تضمنت بعض الصور، ثم قائمة مفصلة شملت المصادر والمراجع.

المنهج المتبع:

إن طبيعة الموضوع هي التي جعلتنا نختار منهج يناسب الدراسة، وعليه فقد اعتمدنا في هذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي الذي يسمح بتصوير الحدث من خلال تتبع الوقائع التاريخية للتواصل الحضاري بين تلمسان وفاس والأوضاع التي سبقت ذاك التواصل ومهدت له، ثم المنهج التحليلي الذي من خلاله قمنا بتفسير والتوصل لعوامل التواصل الحضاري بين المدينتين من خلال حركة العلماء ونتائجه.

مصادر ومراجع المعتمدة في الدراسة:

أ- المصادر العربية والمعربة:

- كتاب دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني تحقيق محمد حجي، تكون الكتاب في كونه ترجم لثلاثمائة وخمسة شخصية، فهو يقدم صورة واضحة لأعلام المغرب من فقهاء وعلماء في القرن 10هـ/16م، قدم لنا خدمة من خلال التعريف بشخصيات الجزائرية (التلمسانية) التي هاجرت إلى المغرب الأقصى في القرن السادس عشر ميلادي، مبرزا مكانتها العلمية والدينية بها.
- كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن قاضي المكناسي استفدنا منه في ترجمة عدة شخصيات تلمسانية هاجرت إلى فاس.
- كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد بن الصغير الحاج بن عبد الله الوفراني المراكشي، أفادنا في رسم صورة عن العلاقات السعدية الجزائرية خلال ق 16م وكذا انجازات السلاطين السعديين بدءا من محمد الشيخ.
- كتاب إفريقيا، للويس كربخال مارمول، ترجمة محمد حجي وآخرون، كان مارمول أسير اسبانيا في خدمة السعديين، حيث أورد في كتابه معلومات قيمة في الميدان السياسي، أيضا عاش في وسط المجتمع المغربي وأورد معلومات عن الأوضاع العامة، نقل عن الوزان بعض المعلومات التي لم يشهدها، فقد استفدنا منه من خلال رسم صورة واضحة عن أوضاع المغربين الأوسط والأقصى مع بداية القرن السادس عشر ميلادي.

ب- المراجع العربية:

- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي بجزئيه الأول والثاني، لمؤلفه أبو القاسم سعد الله، فالجزء الأول أفادنا في معرفة وإعطاء لمحة عن الموروث الثقافي للجزائر مع أواخر القرن الخامس عشر ميلادي، حتى مطلع القرن السادس عشر ميلادي، حيث استطاع أن يرسم الأستاذ سعد الله صورة للوجه الثقافي آنذاك بذكره المؤسسات الثقافية، والتعليم وإبراز العديد من الشخصيات العلمية، كذا تطرق إلى هجرة العلماء ابتداءا من الصفحة 423 من الجزء الأول من الكتاب.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، يعتبر أكبر موسوعة لتراجم أعلام فاس، ترجم فيه لألف وثمانمائة وواحد وثمانين شخصية.
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، استفدنا منه من الجزئيين الثالث والرابع الخاصين بذكر الدول المتعاقبة على الحكم في المغرب الأقصى (المرينية، الوطاسية، السعدية).

الصعوبات والعراقيل:

من الصعوبات التي وقفت أمامنا عائقا:

- قلة المصادر وبعضها لا يمكن الاعتماد عليها نظرا لصعوبة الاطلاع عليها.

– جائحة كورونا التي اجتاحت الجزائر، حيث أغلقت الجامعة والمكتبة، الأمر الذي شكل لنا عائقا في عملية البحث، والتواصل مع بعضنا.

في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا وحفزنا على إنجاز هذا العمل المتواضع، وخص بالشكر أستاذنا المشرف سعيداني محفوظ، الذي كان صبورا معنا لإتمام هذه المذكرة، حيث شملنا بالتوجيهات والإرشادات.

وأخيرا نضع جهدنا بين أيديكم، إن أصبنا فمن الله فهو الموفق، وإن كان غير ذلك فحسبي أني لم أدخر جهدا.

أملنا أن نستزيد من تعليمات وتوجيهات الأساتذة الفضلاء أثناء التصحيح.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في المغربين الأوسط والأقصى

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط

المطلب الأول: أوضاع المغرب الأوسط

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى

المطلب الأول: الوضع السياسي العام في المغرب الأقصى

المطلب الثاني : الأوضاع الثقافية بالمغرب الأقصى نهاية ق 15 و بداية القرن 16 م

المبحث الأول: أوضاع المغرب الأوسط

تمهيد:

لا يمكن فهم التحولات و التطورات التي حدثت في المغرب الأوسط أثناء القرن 10هـ/16م إلا بالرجوع و استحضار الترسبات السياسية التي وقعت لهذه المنطقة منذ نهاية دولة الموحدين [1] ، إذ تعتبر معركة حصن العقاب (609هـ/ 1212م) أهم العوامل التي أدت إلى تفككها ، عندئذ ظهر الزيانيون (بنو عبد الواد)[2]، وقد عمل يغمراسن ومن جاء بعده على جعل دولتهم مستقلة ، عاصمتها تلمسان ، الأخيرة عمرا أكثر من ثلاثة قرون . التطورات التي عاشتها هذه الدولة كانت عبارة عن صراع طويل تمثل في صراع الأمراء بينهم على العرش و السلطة و تدخل بيني مرين من الغرب و الحفصيين من الشرق ، و تدخل الإسبان لنفس الهدف بعد أن ضعفت الإمارات الثلاث (الحفصية ، الزيانية و المرينية) وفي النهاية التدخل العثماني ، لتخليص المنطقة و سواحلها من الاحتلال الإسباني [3].

فمع نهاية القرن 15 م كانت الفوضى السياسية في إفريقيا الشمالية قد بلغت ذروتها[4] ، و الانحطاط السياسي و العسكري كان من السمات البارزة آنذاك .

فالجزائر كانت بدون حكومة ، عبارة عن رقعة سياسية[5] ، وفي أوائل القرن 16م بلغ الانحطاط حده ، ومن أبرز مظاهر ذلك الصراعات السياسية و التفكك الداخلي للمنطقة ، الشيء شجع الاستعمار الإسباني و البرتغالي من استغلال تلك الظروف و الهجوم على بلاد المغرب ، انتقاما من المسلمين ، وتتبع مهاجري الأندلس الذين استقروا بها وسواحلها قصد العودة إليها من جديد [6].

المطلب الأول: ظهور التحرشات الإسبانية في الجزائر ولجنة العثمانيين:

بعد سقوط غرناطة عام 1492م ، لم يكتفي النصارى بخرق العهود التي أعطيت للمسلمين ، حيث بدأ الاضطهاد الديني مما جعلهم يفرون بعقيدتهم إلى بلاد المغرب التي استقبلتهم ، وبالتالي جاءت التحرشات الإسبانية على الجزائر عدد انتقامي منهم[7] .

---

[1] دولة الموحدين: لمزيد من التفاصيل حول هذه الدولة وعلاقة المغرب ينظر: يوسف علي بدري، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 1431هـ / 2010 م، ص 162.

[2] بنو عبد الواد ينتمون إلى قبائل زناتة من أبرز رجالهم يغمراسن بن زيان، تمن مبايعته أميرا على تلمسان سنة 633 هـ عرفت هذه الدولة بدولة بني عبد الواد إلى أن غير اسمها السلطان أبو حموا الثاني باسم الدولة الزيانية (ينظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، ص 192-193.

[3] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 2016، ص 23.

[4] نفسه، ص 216.

[5] جون بوولف، الجزائر وأوروبا 1530/1500، تروتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة والتوزيع،2009، ص23.

[6] مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ر، دط، 1964، ج3، ص 21-22.

[7] مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص 21-22.

* معاهدة توردي سيلاس 1494 عقدت عقب نشوب الصراع بين البرتغال واسبانيا للوصول إلى الهند عن طريق الإتجاه نحو الغرب، قضت المعاهدة أن تستولي البرتغال على كل المكتشف الشرقي خط وهمي يرسم بطول المحيط الأطلسي. في حين تكون لإسبانيا كل مايقع على غربي هذا الخط (ينظر: عبد القادر فكاير: العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية دورية كان التاريخية، (ع18)، ديسمبر 2012، ص 25.

أ- الغزو الإسباني للمدن الجزائرية:

اتفق الإسبان مع البرتغال في عام 1504م، على اقتسام نفوذ بلاد المغرب بإغراء من الكنيسة الرومانية، فعلى إثر توقيع معاهدة **توردي سيلاس** 1949* التي قسم فيها البابا **أسكندربورجيا السادس** العالم ما بين إسبانيا والبرتغال اشتد حماس **الكاردينال الخمينيس** المتعصب للمسيحية، فدعا إلى محاربة مسلمي بلاد المغرب مثيرا مخاوف الملكة **إيزابيلا**

من الهجوم المضاد من طرفهم.

فشرعت الملكة في إعداد حملة ضد المغرب الأوسط الذي كان من نصيب إسبانيا طبقا لما جاء بنص المعاهدة ، فقام الإسبان بالسيطرة على الشواطئ الجزائرية أوائل القرن 16م[1].

حيث احتل الإسبان المرسى الكبير[2] ووهران ما بين (1505- 1509) أبحرت الحملة الإسبانية من مالقة يوم الأربعاء 29 أوت 1505 ووصلت يوم 11 سبتمبر[3] إلى المرسى الكبير في الوقت الذي تفرق فيه المسلمون الذين جاؤوا للدفاع عن المرسى نظرا لقلة المؤن ومنه تمكن الإسبان من احتلاله في 23 أكتوبر 1505 بعد حصار دام خمسين يوما ، ودخل الإسبان المدينة وعاثوا فيها سلبا و نهبا[4].

وعلى إثر ذلك النصر أقامت إسبانيا احتفالا فرفعوا أعلامهم و أقاموا صلاة شكر وحولوا مسجد المدينة إلى كنيسة سميت بكنيسة " **القديس ميكائيل** "[5] ، بعد ذلك اتجه الإسبان لاحتلال مدينة وهران توسيعا لنطاق قاعدتهم لأنها تحظى بموقع استراتيجي ، فجهز الجنرال بيدرو نافارو[6] .

استجابة لضغوطات **الكاردينال خمينيس** حملة أبحرت من ثغر قرطاجنة يوم الأربعاء 15 ماي 1509 ووصلت يوم الجمعة 17 ماي[7] من نفس العام وفي طريقهم احتلوا **المرية** لكن فشلو في احتلال و هران لحصانتها ، لكن سرعان ما أعادوا الكرة بواسطة اليهودي **سطورا**[8] الذي فتح باب المدينة للإسبان[9] . فدخل الأخير و دارت معركة بينهم وبين أهالي المدينة دمروا بيوتها[10] وحولوا مسجدها الأعظم إلى كنيسة و أقامت إسبانيا بوهران حامية عسكرية منحت لقائدها اسم " قائدا عاما لمدينة وهران وحامية المرسى الكبير ومملكة تلمسان"[11] .

---

[1] غرير سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص33.

[2] بعد المرسى الكبير عن وهران بضعة أميال، تعرض لاحتلال البرتغاليين 1415، وطردوا منه 1437، واحتلوه من جديد 1471 وخرجو منه 1477 (ينظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس، ط2، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 50

[3] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492. 1792 وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 96.

[4] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 488.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 98.

[6] بيدرو نافارو، قائد إسباني قاد الحملة على وهران 1509م وبجاية عام 1510، (ينظر: أحمد توفيق المدني: نفسه ص 145.

[7] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج2، ص 203.

[8] سطورا كان مهاجري الأندلس استخدمه حاكم وهران قابضا للمكوس فخان المسلمين بفتح وهران أمام الإسبان (ينظر: سيام العسلي: مرجع سابق، ص 66.

[9] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من بداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 47.

[10] مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 488.

[11] عبد الله شريط، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة. 1965، ص 117.

مما يدل دلالة واضحة بأن احتلال وهران والمرسى الكبير ما هو إلا تمهيد لاحتلال تلمسان عاصمة بني زيان.

بعد استيلاء الإسبان على المرسى الكبير ووهران، رؤوا أن يحتلوا بجاية وعنابة (1510م) فوجهت أنظارها إلى الناحية الشرقية واحتلت بجاية في جانفي 1510م بعد ذلك توجهوا صوب عنابة واحتلوها في نفس السنة 1510م وتركو بها حامية لحراستها، في الوقت الذي وقف فيه حكام بني حفص وبني زيان الذين قضى عليهم التفكك عاجزين عن رد الخطر الإسباني، مما جعل بقية المدن من وسط وشرق وغرب البلاد تستسلم للإسبان وتهادتهم على دفع الضريبة خوفا من المصير المر الذي واجهته وهران وبجاية من قبل كدلس، شرشال، مستغانم.

لهذا وقع أعيان مدينة الجزائر معاهدة استسلام تقدم بها " **سالم التومي**"[1] ، إلى القائد الإسباني **نفارو** طلب منه الأخير دفع ضريبة مع إطلاق سراح لأسرى المسيحيين ، وأن يذهب **سالم تومي** مع **مولاي عبد الله** حاكم تنس لإعلان خضوعهما لملك إسبانيا ، وبالفعل سافر الوفد إلى إسبانيا ووافق على تسليم أكبر جزرهم الصخرية للإسبان وبنوا به حصنا سموه " **حصن الصخرة** " ووضعوا بها حامية لا يدخلها ولا يخرجها إلا بإذن من الإسبان[2].

بعد احتلال بجاية وعنابة احتل الإسبان مرسى هتين الساحلي بتلمسان يوم 08 سبتمبر 1531 بقيادة " دون **ألفارودو بازان** " فخربوا المدينة بهدف تطويق مدينة الجزائر غربا وإخضاع ملك تلمسان **مولاي عبد الله** (محمد السابع) (1524م – 1542م) إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمكثوا بها طويلا وغادروها عام 1534م. هكذا استطاع الإسبان بسط نفوذهم على طول الشريط الساحلي، لكن بروز **الأخوة بربروس** أفسد خططهم.

ب- نجدة الإخوة بربروس وتحريرهم للمغرب الأوسط:

- على عهد عروج 1512- 1518:

نتيجة للظروف التي شهدها المغرب الأوسط مع مطلع ال قرن16م، من غزو صليبي المتتبع للأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش إلى السواحل المغربية أدى إلى التدخل العثماني لصد تلك الهجمة.

ففي هذه الأثناء عمل **الأخوان بربروس**[3] على إنقاذ مسلمي الأندلس من سواحل الأندلس بلاد المغرب و المشرق وبحلول سنة 1510 ذاع صيت الأخوين بعد حروب الجهاد في البر و البحر ، وفي سنة 1512م استنجد أعيان وعلماء بجاية بهما لتخليصهم من الإسبان ، قبل عروج الدعوة وحاصر بجاية لكنه فشل وبتر ذراعه وعاد إلى مكانه في حلق الوادي و أعاد الكرة بين 1514 – 1515 ، وجعلها قاعدة لإنجازاته البحرية ، حيث كان الصراع قائم بين أمراء بني العباس و آل القاضي حكام كوكو . وكان موت **فرديناندو** 1516 مؤشر خير للنشاط البحري لدى عروج فاستنجد به سكان الجزائر بواسطة "**سالم التومي**" لتحرير قلعة الصخرة من يد الإسبان ، فحرر شرشال ، وعندما فشل في تحرير الصخرة بدأت المؤامرات ضده من طرف "**سالم التومي**" و الإسبان حيث تمكن

[1] سالم التومي من قبيلة ثعلبة استولى على الحكم بالجزائر عندما احتل الإسبان بجاية 1510م (ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط1، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص 39.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 325.

[3] بربروسة: كلمة تعني لحية شقراء لقب بها خير الدين نسبة للحية الشقراء (ينظر: مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص 10.

عروج من قتل **سالم التومي** وتفرد بحكم الجزائر[1] ، بعد مقتل **التومي** قام **عروج** بالهجوم على حصن البنيون دون الاستيلاء عليها[2] ، بعد ذلك خرج إلى تنس ، قام بتحرير القلاع و المدن الجزائرية مثل شرشال ، مستغانم ، دلس ، تنس[3] ، بعد ذلك عرج صوب تلمسان بطلب من أهلها إثر مهادنة الإسبان لها سنة 1517 وترك أخاه **خير الدين** نائبا له بالجزائر ، بعد دخوله إلى تلمسان سلم الحكم إلى **أبو زيان** لكن سرعان ما عادت الفوضى للمدينة فخلعه وقتله[4].

وبعد تمكن **أبو حموا الثالث** من الحصول على الدعم الإسباني في وهران اتجهوا معه إلى قلعة بني راشد وقتلوا حاميتها بما فيها **إسحاق** أخو **عروج** سنة 1518م وسارو إلى تلمسان وحاصروها لمدة 06 أشهر، مما اضطر **عروج** إلى الانسحاب نحو الساحل فلاحقته القوات الإسبانية وقتلوه في منطقة الوادي المالح وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى إسبانيا وأعادوا

أبو حموا الثالث على عرش تلمسان[5].

- على عهد خير الدين بربروس (1534م – 1519م)

بعد مقتل **عروج** طلب أعيان مدينة الجزائر من **خير الدين** أن يتولى منصب أخاه ، إلا أنه أبى ، بسبب المشاكل و الظروف التي كانت تحيط به من التهديدات الإسبانية واقترح على سكان مدينة الجزائر أن يدخلوا في طاعة السلطان " **سليم الأول** " ليزودهم بالمال و الرجال ، فوافقوا على طلبه نظرا لوجود رابطة الدين و الخلافة بينهم وبين الحكومة العثمانية ، وخوفهم من الخطر الإسباني من جهة أخرى[6]، فأرسلوا وفدا إلى السلطان " **سليم الأول**" يشرح فيه الأحداث التي شهدها المغرب الأوسط ، فوافق **سليم الأول** ، وعين خير الدين بايلربايا على الجزائر[7] ، و أذن لإيالة الجزائر أن تضرب السكة باسمها.

هكذا دخلت الجزائر تحت لواء الحكم العثماني ، هو ما أدى إلى قلق بني حفص في تونس و بني مرين في المغرب الأوسط خوفا من وصول المد العثماني إليهم ، وبالإلحاق الجزائر بالباب العالي حدث اضطراب في بلاد بني زيان بتلمسان كما تمرد " **ابن القاضي** " على " **خير الدين** " بتحريض من الأمير الحفصي " **أبي عبد الله محمد بن الحسن** " ، عرف **خير الدين** أن مدينة الجزائر ستهاجم لا محال ، فكان مستعدا وفي 17 أوت

---

[1] يحي بوعزير، علاقات الجزائر مع دول ومماليك أوروبا 1500- 1830، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص 36 – 37.

[2] ماراامول كاريخال: إفريقيا، تر، محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، دط، 1988 – 1989، ج2، ص 304.

[3] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 83.

[4] محمد خير فارس، تاريخ المغرب الحديث المعاصر، منشورات جامعة دمشق، 1981 – 1982، ص 105.

[5] ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص 34.

[6] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1980، ج3.، ص 46.

[7] باي لرباي تعين أمير الأمراء، أي أن خير الدين الرئيس الأعلى لكل البايات الذين سوف يتولون الحكم في بلاد شمال إفريقيا (ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 198.

1519 وصلت حملة شارلكان بقيادة **هوكو دومنكاد**[1] ، لكنها باءت بالفشل و ألحق خير الدين و رجاله خسائر فادحة بالأسطول الإسباني[2].

بعد ذلك تمكن *خير الدين* من القضاء على ثورة **ابن القاضي** سنة 1525 ، و التمردات التي قامت ضده ، ومن ثم عمل على تنظيم الإيالة الجزائرية وشكل جيشا مجهزا بحريا ، استعدادا لاسترجاع حصن البنيون الذي بناه الإسبان سنة 1510 ، فاسترجعه يوم 27 ماي 1529م[3] ، بالإضافة إلى تطويقة جيش **أندري دوريا** الذي كان هدفه القضاء على إيالة الجزائر العثمانية ، مجهزا بذلك حملة عام 1531م .

بهذه الانتصارات تمكن خير الدين من توسيع حدود الإيالة الجزائرية، بذلك اكتسبت الجزائر مكانة وهيبة بين الدول وأصبحت تعرف بدار الجهاد الصادمة في وجه القوة المسيحية، بهذا فشلت إسبانيا في تنفيذ مخططها الصليبي.

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط

رغم الاضطراب الذي كان يميز الحالة السياسية في الدول العثمانية، إلا أن الحياة العلمية كانت نشطة جدا، حيث ظهرت المؤسسات العلمية من مساجد، مدارس، وزوايا.

مع مطلع القرن 10هـ/ 16م، نتيجة للتحولات التي عرفها الحوض الغربي للبحر المتوسط، فإن الوضع الثقافي والسياسي كان بينهما ارتباطا وثيقا، فمع تزايد الأطماع المسيحية عامة، الإسبانية على وجه الخصوص. و ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث ، وضعف سلاطين الدولة الزيانية شهد الوضع الثقافي جمودا استمر طيلة القرن 10هـ/ 16م[4].

فالجزائر امتازت آنذاك بانتشار الطرق الصوفية، كان جل المنخرطين في الأخيرة كانوا من حفظة القرآن الكريم منه لهم مبادئ فقهية وعقائدية. ولم يكن من ضمن سياسة السلطة العثمانية بالجزائر الاهتمام بالتعليم فلقد كان همها منحصرا في الدفاع عن الحدود وجمع الضرائب ، إذ أن التعليم كان يقوم على جهود الأفراد و المؤسسات الخيرية[5].

لهذا اشتغل العلماء في أغلب أحوالهم للدعوة للجهاد نتيجة لما كانت تشهده البلاد من اضطرابات، ومن أثر تلك الاضطرابات على الوضع الثقافي أن هاجر علماء الجزائر إلى المشرق والمغرب ومن العلماء الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى، فاس خاصة **أبو العباس أحمد ابن محمد المقري، محمد بن عبد الرحمان بن جلال.**

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 205 – 206.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 45.

[3] تمكن خير الدين من استرجاع الحصن بعدما استعمل حيلته الحربية حيث أبحر بأسطوله موهما بأنه سيبحر إلى السواحل الإسبانية من أجل الغزو، إلا أن هذه السفن سرعان ماعادت أدراجها وسط الليل وأحاطت بالحصن (ينظر: أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 215 – 216.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 19.

[5] فوزية لزغم، الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518 – 1830، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2009، ص 61.

كما هاجر **محمد بن عبد الكريم المغيلي** إلى السودان ، ومنهم من دخل في خدمة السلاطين ومنهم من تفرغ إلى العزلة و التصوف[1].

لقد أثرت العديد من العوامل على الجانب الثقافي تمثلت في:

– الهجرة الأندلسية التي كانت نحو سواحل بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا

– الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وهذا ما تطرقنا إليه في المطلب الأول من الفصل الأول ، فحكام الجزائر لم يستطيعوا رد الهجمات خاصة بعد الاستيلاء على المراكز السياحية مثل (المرسى الكبير 1505 – وهران 1509 – تلمسان 1512)[2] الأمر الذي جعل العديد من أفراد المجتمع يدركوا أن الحياة آنذاك لا قيمة لها ولا بد من الاستعداد للرحيل .

– التواجد العثماني بالجزائر : وهو العامل المهم المؤثر في الحياة الثقافية ذلك أن حكام الجزائر سواء من العثمانيين أو الأعلاج كانوا لا يعرفون حتى القراءة و الكتابة إذ امتازت فترة حكمهم بالفوضى و انتشار الرشوة و الفساد [3].

هذه العوامل أثرت في الوضع الثقافي طيلة القرن 10هـ/ 16م تأثيرا سلبيا خاصة على فئة كبيرة من العلماء، الأخير فضل الهجرة نحو المغرب الأقصى وذلك ليس اعتباطا بل انعكاسا للأوضاع المتردية التي عاشها العلماء أواخر القرن 09هـ/ 15م حتى القرن 10هـ/ 16م.

فكانت وجهتهم مدينة فاس التي كانت تشكل منارة ومقصد العلماء. وبالغرب الأوسط نجد حاضرة بجاية و قسنطينة و تلمسان[4] . تلك العوامل السابقة الذكر أثرت في التواصل الثقافي بين الجزائر من خلال هجرة العلماء نحو المغرب الأقصى والعكس.

أ- التعليم ومؤسساته:

كان التعليم في العهد العثماني يقوم على – المدارس – المساجد، و الزوايا التي كانت تنتشر في المدن و الريف ، كانت تمول من الأوقاف وكان هناك ما يسمى أيضا بالكتاب " المسيد " وهو تحريف لكلمة مسجد إلى جانب ذلك فلقد بنى العثمانيون بعض المدارس ، الأخيرة تتميز ببرامج تعليم ذات مستوى عالي تضم العلوم الدينية (فقه ، أصول ، علم الكلام ، تفسير ، توحيد) وعلوم لغوية (صرف ، نحو ، عروض و بلاغة) ومعارف علمية (حساب ، منطق)[5].

إذ يقول شالر " أن مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية التي يتردد عليها الأطفال ابتداءا من السن الخامسة و السادسة فصاعدا حيث يتعلمون القراءة و الكتابة .."[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 – 1830، ج 2. ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ن لبنان ن 1980، ص 44.

[2] حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي المورسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 19.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 15.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 257.

[5] ناصر الدين سعيدوني،" الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب الثلاث. الجزائر، تونس، طرابلس من القرن 10هـ - 4 هـ / 16م – 19م " عن الحولية 31، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010م، ص 72.

[6] ويليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824م تعريب: إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. ص 82.

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى

المطلب الأول: الوضع السياسي العام في المغرب الأقصى:

تشابه الوضع في المغرب الأقصى مع الوضع بالمغرب الأوسط ، فكانت الأوضاع مزرية تمثلت في التفكك و الغزو الأجنبي للسواحل ، و الصراع على السلطة ، فبعد كسب إسبانيا للمعركة السياسية و العسكرية في غرناطة قامت بشن حملات على الفضاء الجغرافي و سياسي لبلاد المغرب قصد احتواء سواحلها ، فالوطاسيون لم يكونوا بحجم قوة المرينيين و بالتالي عجزوا عن توحيد المغرب و حمايته من الغزو الإسباني و البرتغالي ، ففي نهاية القرن 9هـ / 15م كانت الأوضاع متأزمة على الصعيدين حيث كانت معظم أجزاء البلاد خارجة عن السلطة الوطابية ، ففي قلب النفوذ الوطاسي ظهرت عدة إمارات (بنو راشد في شفشاون – بنو عروس في القصر الكبير – الأندلسيون في تطوان...[1].

وفي الجنوب وجدت إمارة آل شنتوف في مراكش ، الانقسام الذي كان يعاني منه المغرب جعله عرضة للأطماع البرتغالية و الإسبانية منذ القرن 09 هـ / 15م ، حيث شرع الإسبان و البرتغال في غزو الشواطئ المغربية و احتلال المدن الساحلية من أجل بناء قواعد لهم[2]، فاحتل البرتغاليون سبتة سنة 1415م ثم طنجة 1438م ثم آزمور 1468م و أغادير عام 1507م ، حتى حدث صدام بين اسبانيا و البرتغال نتيجة البحث عن المجال الحيوي ببلاد المغرب ، بعد ذلك افتك الإسبان من البرتغاليون سبتة و احتلوا مليلة سنة 1497م[3].

وللوصول للحل و التخلص من ذاك الصراع عقد الطرفان مجموعة من الاتفاقيات و المعاهدات مع نهاية القرن 09هـ / 15م على سبيل المثال اتفاقية طليطلة 1480م ، واتفاقية توردیسیلاس 07 جوان 1494 ، توصل الطرفان فيها إلى وضع خط يفصل مناطق نفوذ البلدين ، وقد نصت الاتفاقية التي أبرمت بين **يوحنا الثاني** و **فرديناند الخامس** على أن المناطق الواقعة إلى الغرب من جزر رأس الأخضر تخص إسبانيا ، في حين البلاد الممتدة من الشرق من هذه الجزر من نصيب البرتغال[4].

أمام هذا الوضع كان المغاربة في أمس الحاجة إلى من ينقذهم من هذا الاحتلال فتوجهوا نحو الأشراف السعديين ، فمن هؤلاء السعديون؟[5] في ظل هذه الظروف و الأوضاع المضطربة دخل المغرب في صراع مرير من أجل السلطة بين الوطاسيين و الأشراف السعديين .

---

[1] عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517 – 1695) رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، إشراف الدكتورة ليلى الصباغ

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتق، جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1955، ج 4، ص 136 – 139.

[3] يحي بو عزير، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والمغرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 238-239

[4] عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية، ص12.

[5] يعود أصل السعديون إلى مدينة نييع، استقروا في وادي درعة، نسبهم شريفي أكسبهم شيئا من الاحترام (ينظر: اليقراني أو الوقراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح هوداس، مطبعة مدينة أنجي، المملكة المغربية، 1888م، ص 16.

- أبو العباس أحمد النصارى: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. ج5، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1955م، ص 03 – 06.

أ- الصراع الوطاسي السعدي في عهد أحمد الأعراج (1517 – 1539م)

بعد فشل الوطاسيون في الجهاد ضد الاحتلال الإسباني و البرتغالي ، قامت القبائل الجنوبية للمغرب الأقصى بمبايعة القائم بأمر الله[1] السعدي ، ذلك كان سنة (915هـ /1509م) ، فأخذ يخطط للقضاء على الوطاسيين حتى أدركته الوفاة سنة (923 هـ / 1517م) .

بعد ذلك واصل ولديه وحلا مكان والديهما ، فكان الجهاد ثنائي بين **أحمد الأعرج**[2] و **محمد الشيخ**[3].

تمكنا الأخوين من توحيد القبائل الجنوبية للمغرب الأقصى ، أيضا قاموا بتحرير و استرجاع بعض المناطق و الحصون من يد البرتغاليين انتصر **أحمد الأعرج** على نصارى السوس ، بعد ذلك دخل مراكش سنة (930هـ / 1524م) ، الأمر الذي أثار شكوك الوطاسيين ، جيث عقد **أحمد الأعرج** عدة تحالفات مع الحركات الصوفية ، إذ تحالف مع الجزوليين و أمراء هنتانة و دارت أول معركة بين الوطاسيين و السعديين في مكان يعرف بـ أتماي[4] سنة (935هـ / 1528م) بين **أحمد الأعرج** و **أحمد الوطاسي** ، المعركة انتهت بانهزام الجيش الوطاسي[5].

هذا ما جعل البرتغاليين يستغلون الانقسامات الداخلية للمغرب الأقصى توسيعا لنفوذهم ، في ظل هذه الأوضاع المتأزمة تدخل مجموعة من العلماء و الفقهاء لإبرام الصلح بين الطرفين المتخاصمين سنة (940هـ / 1534م) [6].

الذي بموجبه قسمت البلاد إلى قسمين ، فأخذ السعديون القسم الممتد من وادي أم الربيع[7] إلى مدينة مراكش ، بينما القسم الممتد من وادي أم الربيع حتى مدينة فاس باستثناء سجلماسة التي كانت تابعة لفاس كان من نصيب الوطاسيين.

لكن السعديين نقضوا الصلح، وجهزوا جيشا لدخول فاس، فلقيهم **أبو العباس أحمد الوطاسي** بعشرين ألف فارس، وألفين من رماة البنادق، واشتبكا الجيشين على ضفاف نهر وادي العبيد سنة (943هـ / 1537م)، حيث دام الصراع لمدة أسابيع، تكلل بانتصار **أحمد الأعرج**، لتدخل الجزائر والخلاف بين الأخوة العديد انتهت بالوقائع

---

[1] محمد القائم بامر الله: ولد بدرعه ونشأ بها ثم جرح ولقب بالقائم بأمر الله لأنه رفع لواء الجهاد ضد البرتغاليين، هو المؤسس الحقيقي للدواة السعدية، توفي عام 1517م (ينظر: محمد الصغير اليفراني، المصدر السابق، ص 16 – 17).

[2] أحمد الأعرج: ابن محمد القائم بأمر الله ولد عام 1486م، تولى الحكم لمدة 23 عام ثم دخل في صراع مع شقيقه محمد الشيخ (ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002، ص 234).

[3] محمد الشيخ: هو الإبن الثاني للقائم بأمر الله ولد عام 1488م، خلع شقيقه الأعرج وتولى مكانه إلى غاية اغتياله من طرف الأتراك عام 1557م (ينظر: محمد بن الطيب القادري الإكليل والتاج في تذبيل كفاية المحتاج، تحقيق ماريا دادي الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 2009، ص 48).

[4] أتماي: مدينة صغيرة سكانها بربر من قبيلة مصمودة، بناها الأفارقة القدامى على منحدر أحد جبال الأطلس الكبير المسمى بأتماي على بعد ثلاثة عشر فرسخا من مدينة مراكش، وفيها وقعت معركة بين السعديين والوطاسيين سنة 1528م انتهت بعقد صلح بينهما، للمزيد من المعلومات، ينظر - مارمول كربخال ص 62.

[5] أبو العباس الناصري، الاستقصاء، ج 04، ص 150.

[6] حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1978م، ص 201.

[7] وادي أم الربيع: نهر ينبع من جبال الأطلس بين خنيفرة وعين اللوح، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزمور، بعدما يجتاز سهولا بين ناحية دكالة وتامسنا ومن أبر روافده واد العبيد الشهير.
- (ينظر: علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (دط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م)، ص 302.

فكان النصر حليف **محمد الشيخ** ضد **أحمد الأعرج** الذي نفاه نحو تافيلالس مع عائلته، وسيطر **محمد الشيخ** على الحكم ليدخل هو أيضا في مرحلة أخرى في الصراع مع الوطاسيين وكسر شوكتهم.

ب-الصراع الوطاسي السعدي في عهد محمد الشيخ (1539- 1554)

بعد انتصار **محمد الشيخ** على أخيه ، قام بالإستلاء على ما كان بحوزته ، و أصبح بذلك ملكا مستقلا ، بعد ذلك أقام ببلاد السوس وتمكن من الاستيلاء على حصن فوتني سنة (947هـ / 1540م) ، وفتح آسفي سنة (948هـ / 1541م) ثم أعاد فتح مراكش بعد انقطاع البيعة له سنة (951هـ / 1544م) وخلص له جميع ما كان لأخيه **أحمد الأعرج** المخلوع من تادلا إلى وادي نول[1].

وفي سنة 1545م جرت معركة مع الوطاسيين عند وادي درنة ، حيث انتصر فيها **محمد الشيخ** وتمكن من أسر السلطان **أحمد الوطاسي** ، وظهر في هذه المعركة **أبو حسون** عم **السلطان أحمد** الذي كان أميرا على بادس الذي تمكن من صد الهجوم السعدي على مكناسة ، وفي سنة 1547م ، تم إطلاق سراح السلطان الوطاسي بعد تقديمه تنازلات لمناطق الغرب و مكناسة ، كان هدف السلطان الوطاسي جمع أنفاسه وترتيب جيشه[2] لكن **محمد الشيخ** لم يسمح له بذلك فزحف إلى فاس من أجل القضاء على الوطاسيين وقام بفتح العديد من المدن في طريقه ، وحاصر مكناسة حتى استولى عليها سنة (955هـ / 1548م) ، وفي سنة 1549م تقدم **محمد الشيخ** نحو فاس حاصرها طويلا وقام باغتيال عالمها **أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي** بعد رفضه التعاون معه ، فقام الشيخ السعدي **محمد الشيخ** بإغراء ممن ولاه من أهل فاس سرا و أغراهم بالمال و تواطئوا معه على هدم سور الحصن[3] ودخل السعديين بعد ذلك المدينة ، ولما علم السلطان الوطاسي بأمر اغتيال الفقيه **عبد الواحد الونشريسي** ، خرج إلى الناس و أخبرهم بضرورة التسليم **للشيخ السعدي** و ذلك حفظا لهم و أمانا للمسلمين فأمنه و أرسله مع أربع مائة من عائلته وحاشيته إلى مراكش ثم دس لهم السم[4].

أما **أبو حسون** فقد غادر إلى بادس في الشمال ثم لجأ إلى عثمانيين الجزائر، وطلب مساعدتهم لاسترداد العرش ، و بالفعل قام **صالح رايس** و **أبو حسون** من دخول فاس 1554م بعد ذلك استرد السعديون فاس نهائيا في نفس السنة ، وقتل **أبو حسون** ، وعند دخول **محمد الشيخ** فاس للمرة الثانية أمر بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ الفقيه **أبي علي حرزور المكناسي**[5] ، فبموت **أبو حسون** انتهت الدولة الوطاسية نهائيا وخلت البلاد **لمحمد الشيخ السعدي** .

---

[1] محمود علي عامر، محمد خير الفارس: تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبية) دمشق، دط، ددت، ص 39.
[2] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 21.
[3] نفسه، ص 23.
[4] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج05، ص 21.
[5] محمد الصغير اليفراني، المصدر السابق، ص 75 – 76.

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغرب الأقصى نهاية ق 15 وبداية القرن 16 م:

كانت الأوضاع الثقافية في المغرب الأقصى ، متشابهة عما كانت عليه بالجزائر فالحركة الفكرية في المغرب خلال العهد الوطاسي شهدت ركودا وتراجعا ، فالمغرب لم ينجب علماء كبارا كانوا في العهد الموحدي و المريني ، حيث ظل التعليم في الكتاتيب و المدارس يتبع نفس المنهج المعتمد في العهود السابقة[1].

حيث تقهقرت حركة التعليم بشكل واضح عما كانت عليه في العصر المريني ، فالأوضاع الثقافية خلال العهد الوطاسي سادتها ظاهرة التصوف ، إذ انتشرت الطرق و الزوايا بشكل كبير[2].

ومع ظهور الدولة السعدية تأثرت الحياة الثقافية بمدى استقرار و تدهور الأوضاع السياسية ، حيث تأثرت الحياة الثقافية بالسلاطين السعديين ذلك من خلال اهتمامهم و تجاهلهم للعلم و أصحابه ، فالملوك السعديين كانوا مولعين بفنون الأدب ، فكان **محمد المهدي** (1544 – 1557) يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب ، سمي بالمهدي لأنه بلغ في العلم درجته كان يخالف القضاة في الأحكام ويرد على فتواهم ، له حواشي على تفسير القرآن[3].

لقد اهتم السلاطين السعديين خاصة منهم الأوائل بالميدان الثقافي و هذا من خلال تشييدهم للمراكز و المؤسسات الثقافية و العلمية ، فمن الأعمال التي قام بها **عبد الله الغالب** (1557 – 1574) قام ببناء جامع أبي العباس السبتي بمراكش[4].

وشجع على تأسيس زاوية زداغة بسوس تارودانت وهي التابعة للطريقة الجزولية[5]. أما في عهد **أحمد أبو العباس المنصور** فقد شهد المغرب الأقصى أزهى وأرقى فتراته العلمية والحضارية، حيث استغل أموال الذهب التي حصل عليها من السودان وافتداء الأسرى بعد معركة واد المخازن، في بناء المساجد والمكتبات، خاصة بالجامع الأعظم بمراكش أين أراد أن ينافس به القرويين بفاس.

كما اهتموا بشراء الكتب و نسخها و ترجمتها وبناء الخزائن و المكتبات[6].

أ- التعليم ومؤسساته بالمغرب الأقصى:

كان يوجد في مدينة فاس خمسون جامعا كبيرا أهمها جامع القرويين ، كما توجد مدارس أخرى يدرس فيها النحو و البلاغة و العقائد و الفلسفة و الحساب وكان عدد المدارس أكثر من 200 مدرسة لتعليم القراءة[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص 47.

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 214.

[3] مسعود بقاجي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ / 16م، مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص79.

[4] ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2000م، ص 392 – 394.

[5] محمد القادري، الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، ص 397.

[6] الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549 – 1664) مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: العلاقات الإقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية، قسنطينة، ص 42.

[7] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص 253.

الوسيلة المستعملة في التدريس هي ألواح كبيرة ، وكان أجر المعلمين زهيدا ما عدا بعض الهدايا التي يتلقاها المعلم من طرف أولياء التلاميذ[1].

أما فيما يخص الحلقات العلمية فلقد كانت مفتوحة أمام الجميع وكان العلماء يحضون باحترام كبير لدى الطلبة ، وكان يتم تشجيع طلبة العلم على التعليم بتقديم المساعدات[2].

كان شأن علماء المغرب عظيم فإنهم برزوا في الفقه حتى تصدر عدد منهم للفتوى ووضع كتب في النوازل وكان من أبرز الفقهاء **عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري** الذي ألف نظم المرشد المعين في مبادئ الفقه و التوحيد[3] ومن جاء بعده من طلبة وغيرهم .

[1] نفسه، ص 460.

[2] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص 261 – 262.

[3] ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 461.

الفصل الثاني: المكانة الثقافية في الجزائر والمغرب عامة وتلمسان وفاس خاصة

المبحث الأول: المكانة الثقافية في الجزائر (تلمسان)

المطلب الأول: تلمسان جغرافيا وتاريخيا

المطلب الثاني: الحياة الثقافية في تلمسان أثناء العهد الزياني (ق 09 هـ -15 م)

المبحث الثاني: المكانة الثقافية في المغرب (فاس)

المطلب الأول: فاس جغرافيا وتاريخيا

المبحث الأول: المكانة الثقافية في الجزائر (تلمسان)

تمهيد

عرفت مدينة تلمسان ازدهارا ثقافيا خلال الحكم الزياني، وذلك لتوفرها على العديد من الحواضر الثقافية التي ساعدتها على الظهور كحاضرة ثقافية من حواضر بلاد المغرب، كما عرفت كذلك مدينة فاس في المغرب الأقصى تطورا حضاريا وثقافيا خلال الحكم المريني، ما بين نهاية القرن 15 والقرن 17 م. ومن بين العوامل التي ساهمت في الحركة الثقافية والنهضة الأدبية والعلمية في كل من تلمسان وفاس هي وجود عديد المؤسسات الثقافية من مساجد ومدراس وغيرها، ما ساعد على النهوض العلمي والازدهار الثقافي.

وهذا ما سنتعرض خلاله في هذا الفصل، بالتعرف على الحياة الثقافية في كل من تلمسان وفاس وعلى أهم المؤسسات الثقافية في كل منهما.

المطلب الأول: تلمسان جغرافيا وتاريخيا:

أ. لمحة جغرافية عن تلمسان.

تمتد مدينة تلمسان على مسافة ثلاثة مائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب ولكنها تضيق من الشمال إلى الجنوب، إذا تتعدى مسافة خمسة وعشرين ميلا بعض النقط من البحر المتوسط إلى تخوم الصحراء، ذلك هو السبب الذي من أجله لم تتضرر هذه المملكة من تعسف الأعراب، وكان ملوك تلمسان يعملون دائما على إهدائهم كتقديم الهدايا والعطايا المالية لهم. ورغم ذلك لم يكن باستطاعة حكام تلمسان إرضائهم جميعا، لأنها تعتبر محور التجارة الصحراوية والساحلية والرابط بينهما، من خلال الموانئ والأسواق[1].

تلمسان من أحسن مدن بلاد المغرب موقعا لكونها تقع في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى فداخل المغرب الأقصى والقادم من تونس أو الجزائر ، والخارج من مراكش أو فاس خصوصا، لابد من المرور عليها لنزول والإقامة بها[2].

وهناك العديد ممن قدموا وصفا لتلمسان في مجالها الجغرافي فهذا البكري قال في مصنفه: «وهي مدينة مسورة في سفح **جبل شجرة الكرز** ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب **باب أبي فرة وفيها الأول آثار قديمة** وبها بقيت من النصارى إلى وقتا هذا ولهم بها **كنيستا** معمورة وأكثر، **ما يوجد الركائز في تلك الاثار كان الاول** قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى **اوريط** بينها وبين المدينة ستة أميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع **وأشجار وأنها على طواحين وهو نهر سطفسيف** وهي دار مملكة زناتة ومسطة قبائل البربر ومقصد تجار الأفاق »[3].

ب. **مكانة تلمسان:**

[1] حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حاجي، محمد الأخضر ج2. د، ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 98.

[2] الحاج محمد رمضان شوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج 1، ديوان مطبوعات الجامعية 2011/03 ص77.

[3] أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (جزء من كتاب المسلك والمملك)، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، د، ت، ص76.

يذكر التاريخ أن مدينة تلمسان خلال مسيرتها التاريخية عرفت ازدهارا وتقدما في المجال العلمي كما شاهدت نهضة أدبية وعلمية هذا ما جعلها تصبح حاضرة من الحواضر الثقافية في المغرب الأوسط، مع اهتمام بني زيان حكامها بالمجال الثقافي.

فكانت تلمسان تتمتع بمكانة علمية مرموقة ويعود ذلك إلى النزعة العلمية الثقافية التي كان يتمتع بها بعض أمراء من بني زيان، الذين ساهموا بدور فعال في تشجيع فئة الطلبة والعلماء والسهر على تشيد المدارس والإنفاق على أهل العلم من علماء وفقهاء وقضاة وطلبة، الأمر الذي جعلها مهبط كثير من العلماء القادمين إليها من مختلف المدن المغربية[1].

ومما ساعد تلمسان على الوصول إلى هذه المكانة هي احتوائها على ذلك الزخم العلمي الوافد إليها من المشرق والأندلس ومن فاس، الذي امتزج مع التراث التاريخي والفكري والثقافي بها، كل ذلك لعب دورا فعال في تنشيط الحركة العلمية، التي أنشأت نهضة أدبية وعلمية [2]، مما فتح المجال وفسح الطريق أمام العلماء في التعمق والتوسع في البحث في مختلف فنون العلم، فأهل هذه الحاضرة لتصبح مكانا يقصده العلماء من مختلف البلدان من أجل طلب العلم والمعرفة[3].

ت. أهمية تلمسان:

ترجع أهمية تلمسان إلى موقعها الاستراتجي الذي جعلها تتميز بانتعاش اقتصادي وازدهار فكري، فأكسبها حلة حضارية وثقافية، تستقطب الطلبة والعلماء والرحالة، كما استحقت أن تكون عاصمة للإمارة الزيانية، وهذا نظرا لما تتمتع به من خصائص ومميزات على مختلف الأصعدة من ثقافية وسياسية واقتصادية، ويذكر العديد من المؤرخين أن تلمسان كانت من أهم المراكز العلمية قبل أن يعرف وضعها السياسي اضطرابا في نهاية القرن 15م.

فتغير وجهها الزاهي الفاره بالعبوس المغبر، نتيجة تردي الأحوال السياسية والاقتصادية فتكالب أفراد بني زيان المتأخرين على الحكم، واستغلت القبائل الكبرى ذلك لصالحها، فمن استقلت بنفسها وسادت حتى غدت إمارة بني زيان لا تملك سوى دواخل أسوار تلمسان أو بالكاد، لذا فقدت هذه الحاضرة كثيرا من أهميتها خصوصا بعد ق16م، مما جعلها تعرف هجرة عديد من علمائها وطلبتها إلى المغرب الأقصى والمشرق من أجل بث وتلقي العلم[4].

وكانت بتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بأغادير **أساسها بون ويفون** قبيل الإسلام، والثانية أساسها يوسف بن تاشفين **سنة 94 هـ / 1081 م** وأطلق عليها أسم تاغرارت تعني المعسكر، وفي لسانهم في العهد الإدريسي فتلمسانا هي الحصن أو القصبة، وتاغرارت كانت فيها مساكن الناس، مما جعل من تلمسان الجديدة قاعدة للمغرب الأوسط[5].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان العهد الزياني، ج 2، موفم للنشر، 2002، ص295.
[2] نفسه، ص30.
[3] **ابن مريم، المصدر السابق، ص258.**
[4] عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية ...، المرجع السابق، ص 158.
[5] يحى بوعزيز، موضوعات وقضايا ...، ج 1، المرجع السابق ص62.

وما يثبت الأهمية البالغة لتلمسان كونها كانت مركز لاستقطاب الطلبة والعلماء وكذا الراحلة، لهذا كانت محل حديث وجدل العديد من كتب الراحلة، فقال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: «تلمسان بـ كسرتين وسكون الميم وسين مهملة، وبعضهم يقول تلمسان بنون عوض اللم: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة وأخرى حديثة، أختططهما المسلمون ملوك المغرب واسمها تفوت فيه يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أغادير يسكنها الرعية »[1].

وهناك العديد الذين قدموا وصفا لتلمسان ما يثبت أهميتها فقال المؤرخ الفرنسي **انا جوتيه** قال «أنه يبدو أن الأوضاع الجغرافية استعدت أن تقوم في إقليم غربي، المغرب الأوسط قاعدة إلى الغرب من مدينة الجزائر. لأن الطريق الذي يخترق التلال في منطقة الخانق الكبير الذي يمتد من توات إلى رجسون، والخط الممتد من تلمسان إلى التافهة، حيث قامت مدينة سيجا عاصمة فاس (الزعيم البربري الذي حارب الرومان). وهذا الطريق لا يختلف كثيرا عن الطريق الممتد مباشرات عن الطريق الممتد ومباشرات إلى المدية، ثم إلى مليانة، ثم الجزائر. معنى هذا أنه كما قامت مدينة الجزائر عاصمة للغرب الأوسط الغربي قامت مدن أخرى على الطريق الذي تحدثنا عنها وهي تلمسان »[2].

المطلب الثاني: الحياة الثقافية في تلمسان أثناء العهد الزياني (ق 09 هـ -15 م):

يعد تاريخ تلمسان في العهد الزياني من أبرز المراحل التي عرفها المغرب الأوسط لما تتميز به من أحداث سياسية وثقافية، فمثل العهد الزياني المريني ذروة ثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، ففي هذا العهد أصبح المغرب الأوسط قطب ومركز التفاعل الحضري بين المغرب والأندلس[3]، فقد عملت السلطة الزيانية على تثبيت الأسس الثقافية والحضارية وسخروا جهودهم المستمرة على الاهتمام ورعاية مختلف العلوم، فشجعوا العلماء والأدباء والفقهاء بالمراتب والعطايا مع تقريبهم منهم، كحرصهم على إقامة المجالس العلمية والأدبية كل هذا ساهم في تنشيط الحركة العلمية آنذاك[4]. فأهل ذلك مدينة تلمسان لكي تكون مركزا للتأثير والتأثر نتيجة هجرة عديد العلماء نحوها، إلا أن ذلك التفوق تراجع بسبب التطورات السياسية لهذه الدولة فأثر على واقعها الثقافي بعد ق15م[5].

أ. المؤسسات الثقافية بتلمسان أثناء العهد الزياني:

تعد المراكز التعلمية والمؤسسات الثقافية من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في العهد الزياني لأنها تحوي مختلف العلوم التي برز فيها العلماء وجد إلى طلبها طلبة العلم، فساهمت حاضرة الدولة الزيانية كغيرها من حواضر بلاد

---

[1] ياقوت الحموي أبي عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، دار المصادر، بيروت، لبنان، 1977 ص44.

[2] حنفي هلالي «العلماء والاولياء في تلمسان الزيانية في ضوء بغية الرواد»، عن مجلة الحوار المتوسطي، ع 8، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مارس 2015، ص 198.

[3] حنفي هلال، المقال السابق، ص 198.

[4] هادي جلول، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها (ق 8 – ق هـ /14 – 15 م)، أكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، **ع**، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشلف، جانفي 2018 م، ص82.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 317.

المغرب، من خلال المؤسسات التعليمية، وقد شكلت هذه المؤسسات نقطة تبادل للأفكار بين الأفراد والجماعات، وفتحت أفاق توسعت معها العلاقات الاجتماعية بين مختلف شرائح المجتمع ومن بين هذه المؤسسات التعليمية الثقافية نذكر ما يلي:

المساجـد: لم تكن المساجد أماكن مخصصة للعبادة فقط بل ملتقى العلماء والطلبة والعامة، من أجل تلقي مختلف العلوم بما فيها النقلية والعقلية، لذا كانت المساجد أماكن لتغذية العقل والروح بإشباعها بالعلوم مع إحياء الروح العلمية، فمثل المؤسسة التعليمية الرائدة في تربية المجتمع، وترقية وتطوير العلوم وتوريثها للأجيال اللاحقة، وقد تخرج منها العديد من كبار وفحول العلماء، وهذا لأجل نشر رسالة الإسلام[1]، ومن بين هذه المساجد :

مسجد الجامع بأكادير: كان هذا المسجد موجودا من زمن وحتى قبل دخول الادارسة إلى تلمسان، وقد قام هؤلاء بتوسيعه خلال فترة تواجدهم بتلمسان.

مسجد الأعظم بتاغرارت: لقد تأسس هذا المسجد على يد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين أثناء بنائه لمدينة تاغرارت (473 هـ – 1080 م)، كان هذا المسجد يمثل جامعة إسلامية وهذا يعود إلى المشاركة في ترسيخ العقيدة الإسلامية، لقد تخرج من هذا المسجد عددا كبيرا من العلماء من مختلف بلاد المغرب الإسلامي[2]

مسجد سيدي أبي الحسن التنسيني: يقع هذا المسجد قرب المسجد الأعظم، تم تشييده في عهد السلطان الزياني ابو سعيد عثمان بن يغمراسن عام (696 هـ – 1296 م) يعتبر من أجمل المساجد الزيانية في مدينة تلمسان.

مسجد إبراهيم المصمودي: قام بتأسيسه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني تكريما لوالده أبي يعقوب[3].

ب. **المدارس:**

تمثلت المدرسة في العهد الزياني المؤسسة السلطانية، حيث كانت تستقبل طلبة العلم وتدريس مختلف العلوم، كما تفنن الزيانيون في تصميم مدارسهم تقديرا للعلم والعلماء، من أشهر المدارس:

مدرسة أولاد الأمام: تعتبر أول مدرسة أنشئت في التاريخ الزياني تأسست على يد السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 716 هـ/1310 م، وواصلت هذه المدرسة في تقديم دروسها التربوية والعلمية حتى منتصف القرن 19 م كانت أول مدرسة تربوية تقام بحاضرة تلمسان الزيانية[4].

مدرسة التشفانية: هي المدرسة الثانية التي أنشئت في تلمسان على يد السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (718-730هـ/1318-1327م)، وعرفت توافد كبير من طلبة العلم من اجل تلقي مختلف العلوم، حتى اكتظت بطلبة العلم المقيمين والأفاقين، وتنافسهم عليه ويعد بناء هذه المدرسة مشروع ثقافي ناجح، لمساهمته في تنشيط

[1] نفسه، ص317.
[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ص19.
[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص317.
[4] محمود بوعياد، جوانب من الحياة الاجتماعية: بالمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ص8.

الحركة العلمية بتلمسان، وهذا أكبر دليل يوضح لنا مدى اهتمام السلاطين الزيانيين على السهر لترقية ورعاية العلوم.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية في تلمسان أثناء العهد العثماني:

نتيجة ما عرفته مدينة تلمسان على جانبها السياسي والعسكري خلال ق10هـ/16م، من مزاحمة المرينيين وثوب العثمانيين في النهاية عليها، رغم ما حدث من تطورات خطيرة على المستوى السياسي كان احد مغذيه العدو المشترك لأخوة الأعداء وهو الاحتلال الاسباني، الذي دحض الحضارة العربية بالأندلس وتتطلع لبلاد المغرب فتتدخل في اموره واحتل بعضا من سواحله، فكانت تلمسان من المدن التي تضررت بذلك فتراجعت قوتها الاقتصادية ثم السياسية وأخيرا العسكرية، مما جعلها مفتوحة على كل الاحتمالات، اما الاحتلال الاسباني او الانضواء تحت الراية العثمانية او الدخول في الفلك السعدي او البقاء تحت الراية الزيانية التي لا تملك ادنى مقوم للبقاء امام التغييرات الخارجية المتسمة بالقوة العسكرية، فكان الامر الواقع بدخولها تحت الراية العثمانية.

ورغم تلك الموجة السياسية المضطربة في بداية ق10هـ/16م، فإن الحركة العلمية بقيت نشيطة مواكبة لأهم الأحداث والتطورات، فلم يؤثر على النمو الفكري والحياة الثقافية، إلا انه خرج عديد من علماء تلمسان ووهران في رحلة طلب الأمان والعلم في المعاهد الإسلامية[1]، ورغم استقرار الوضع نسبيا في الغرب الجزائري في القرن 11 هـ –17 م، إلا أن الوضع العلمي سيطر عليه الفكر الصوفي[2] والدروشة[3]، مع العلم أن اهتمام السلاطين العثمانيين لم يكن منصبا على الجانب العلمي بقدر انصبابه على العامل العسكري، لرد العدوان الأجنبي، لذا انصب اهتمامهم في الدفاع عن حدود البلاد واستقرارها، ولكن هذا لم يمنع العلماء من الاجتهاد من أجل طلب العلم، فتحولت بعض المناطق إلى مراكز ثقافية، كما تجلت الحياة الثقافية خلال القرن 17 م في مظهرين علمي وأدبي، وبفضل الحركة العلمية لعلماء تلمسان جعله تصبح حاضرة ثقافية يتوافد عليها من مختلف الأقطاب الإسلامية[4].

- **المؤسسات الثقافية بتلمسان:** شكلت المؤسسات الثقافية بتلمسان خلال القرنين 16 و17 م حلقة وصل بين المجتمعات، كما ساهمت بفتح المجال أمام توسيع العلاقات بين مختلف الطبقات الاجتماعية والدرجات العلمية والتقرب بين مختلف العلماء سواء المغاربة أو المشارقة ومن بين المؤسسات الثقافية التي عرفتها تلمسان ما يلي:

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الإسلامي 1998 ط 1، ص79.
[2] التصوف: يعني الزهد والتقشف والعمل بالعلم والابتعاد عن الدنيا، عبد العزيز فيلالي مرجع سابق، ص376.
[3] نفيسة رحماني، العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر لأكاديمي في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018 /2019 ص18.
[4] فوزية لزعم، الإنجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518، 1830 م، بالمكتبة الجزائرية لدراسات التاريخية، الجزائر، 2009، ص62.

- **المدارس:** من أهم المؤسسات الثقافية تمثلت وظيفتها في تعليم مختلف العلوم الدينية والعقلية[1]، ونتيجة طغيان حياة التصوف والزهد وتسللها إلى المدارس فان بعضا منها لم تساير العصر والحاجة الاجتماعية إلا بقدر رفع الأمية عن المجتمع، وكانت بعض المدارس عبارة عن ملحق بالمساجد وأخرى بالزوايا وكثيرا ما ينص الوقف بتأسيس زاوية و جامع[2]. فاحتوت مدينة تلمسان في العهد العثماني على خمس مدارس ثانوية و عالية[3]، ومن بين هذه المدارس:

كالمدرسة اليعقوبية التي أنشئت على يد السلطان أبو حمو موسى الثاني ومدرسة العباد التي أسسها أبو الحسن سنة 747 هـ /1346 م قرب مسجد ضريح سيدي بومدين، و أصبحت من المؤسسات العلمية في تلمسان[4]، ومدرسة سيدي الحلوي وسميت بهذا الاسم نسبة لأحد علماء الأندلس[5].

- **المساجد:** قامت بوظائف فإلى جانب تأدية فريضة الصلاة، فقد كانت مقاما لتقديم الدروس في أوقات مختلفة من اليوم، لمختلف ضروب العلوم الشرعية والعقلية[6]، وكان بتلمسان أواخر العهد العثماني 50 مسجدا تقريبا[3] ما بين كبير وصغير، وأهمها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير[4]
- **الكتاتيب:** شكلت الكتاتيب المرحلة الأولى التي ينطلق منها طالب العلم، فهي اليوم تمثل التعليم الابتدائي، وظيفتها الأساسية تحفيظ القرآن الكريم للصبية، وقد أنشئت بجوار المساجد تجنبا لضجيج الصبية وحركاتهم، وحتى تكون المساجد محافظة على وقارها، وقد انتشرت الكتاتيب في القرى والمدن ، فبعضها كان يحمل اسم الحي الذي تقع فيه مثل مكتب سوق **قنقجية** ومسجد جامع السيدة [7].

وكان الأطفال يجلسون فوق الحصير في شكل دائري ثم يقوم الشيخ بإملاء على التلاميذ أجزاء من القرآن الكريم يكتبونها على ألواح مصنوعة من الخشب، مطلية من الطين، وبعد الكتابة والتصحيح يتمرنون الأطفال على القراءة الأولية ثم يتلونه في المساء[8]. وقد اشترك المسؤولون مع العامة في إنشاء الكتاتيب فالباشوات والبايات كانوا يشتركون مع الأهالي في هذه المهمة الخيرية والعلمية، والبعض منها كان تابعا لبعض الزوايا[9].

- **الزوايا:** احتلت الزاوية في هذه الفترة مكانة مهمة نتيجة نشاطها، فاحتلت الصدارة بين المراكز الثقافية وغالبا ما ينسب تأسيسها لأحد رجال التصوف باعتبار أن الزوايا تقوم بأدوار خيرية مع تحفيظ القرآن الكريم وتقديم دروس مختلفة كاللغة مع نشر أفكارها، وقسمت إلى القسم يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، مع تعليم الحروف

---

[1] احمد بوذيبة، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب - تلمسان وفاس «نموذجا " في القرن 10 ه/ 16 م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية قسم التاريخ 2011/2010، ص 36.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 275.

[3] أحمد بوذيبة، المرجع السابق ص 37.

[4] نفسه، ص 43.

[5] مختار رحماني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الإقتصادية و الثقافية ، ج2، دار الحضارة، الجزائر، ص 277 .

[6] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص17.

[7] محمد بن ميمون، المصدر السابق ص58.

[8] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص276 -277.

[9] أحمد مريوش، المرجع السابق ص19.

الهجائية[1]، وقسم ثاني يقوم بتدريس بعض الفنون كالفقه والعقائد وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة، والمنطق وبعض المبادئ في علم الفلك، وهذا القسم يدرسه طلاب العلم والمعرفة[2]، ومما اكتسبته الزاوية في العهد العثماني أنها كانت ملجأ الهاربين من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم[3]

- **المعمرات:** هي مؤسسات ثقافية تشبه الكتاتيب كانت منتشرة في الأرياف أو القرى الجبلية يتوافد عليها الصبية من مختلف الجهات، يتم فيها حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله، مع إضافة علوم أخرى شرعية ولغوية ذات صلة بفهم القرآن كالتفسير وينقسم طلبة المعمرات إلى ثلاثة فئات

أولا فئة القدادشة وهم التلاميذ الأصغر الذين يؤتون إلى المعمرة من أجل حفظ القرآن، وثانيا فئة الطلبة وهم فئة فوق فئة القدادشة من حيث السن والأقدمية والثقافة، ويتركز اهتمامهم في حفظ القرآن وتعلم بعض العلوم الدينية واللغوية والتفسير ويشرفون على تعليم فئة القدادشة، اما الثالثة فهي فئة المتقدمين وهم أعلى منزلة في المعمرات يقومون بمهمة التوجيه المادي والفكري[4].

المبحث الثاني: الحياة الثقافية في المغرب الأقصى (ق 10-11هـ/16-17م)

المطلب الأول: فاس جغرافيا وتاريخيا:

أ. لمحة جغرافية عن مدينة فاس:

تبتدأ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا لتنتهي إلى نهر ملوية شرق وفي الشمال يحد قسم منها بالبحر المحيط، وتنقسم إلى سبعة أقاليم، هي تمسنا ومنطقة فاس[5] وأزكار، والهبط، والريف، تم تأسيس مدينة فاس على يد الادارسة وظلت السلطة في يد أسرتهم لمدة تربوا عن مائة وخمسين سنة، ومرت عليها عدة دول من المرابطين للموحدين، وتزهوا في عهد بني مرين، الذين اتخذوها قاعدة لملكهم وعاصمة لهم، يتميز هذا الاقليم بوفرة الفلاحة من حبوب وثمار ومواشي[6].

ب. مكانة مدينة فاس:

حافظت فاس على مكانتها كعاصمة لبني مرين لمدة قرنين من الزمن، إلا ان نهايتهم كانت على يد السعديين، الذين سيطروا على المغرب الأقصى ووحدوه، واتخذوا مراكش كعاصمة لدولتهم، لتتراجع فاس إلى المرتبة الثانية سياسيا في المغرب الأقصى، إلا أنها حافظت على ريادتها العلمية، فبقيت كمركز ثقافي وعلمي يقصده السلاطين السعديين للإقامة فيها، فمثلت فاس المركز العلمي والثقافي الذي يعكس الصورة الحضرية لهذه المملكة، ما جعلها

---

[1] محمد بن ميمون، المصدر السابق، **ص58-59.**
[2] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق. ص168.
[3] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 20.
[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 177.
[5] تامسنا: إقليم تابع للملكة فاس، يبتدأ غرب عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقراق شرق، والاطلسي جنوبا، وشواطى البحر المحيط شمالا **حسن الوزان وصف إفريقيا الجزء الثاني ص224-225.**
[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ص193.

تصبح محل أراء وتأليف الكثير من المؤرخين نظرا لما تمتعت به من إرث حضاري وقدسية، فتغنى بها الأدباء والشعراء فقيل في حقها:

يا فاس هناك جميع الحسن مسترقي وساكنوك أمانيهم لقد رقوا

هذا نسيمك أم روح لراحتنا وماؤك السلسل الصافي أم الورق؟[1] وقال أخر:

تسـود على بلاد الله فاس وحق لها بما خصت تسود

كفلها أن أقام بها مـليلأ عظيم القدر ليس له عفيـد

أليس لها على البلدان فضل؟ وتأتيها الركائب والوقود

أليس لها مجابي الأرض تجبيا وعنها لا تميل ولا تحسيـد

أليس تـرا عباد الله طرا وكلـهم لمالكـها عبيـدا[2]

ت. أهميـة حاضرة فاس: كانت لفاس أهمية بالغة في المغرب الأقصى، وفي بلاد المغرب نظرا لما احتوته من مراكز ثقافية ومؤسسات تعليمية وتكمن هذه الأهمية فيما يلي:

- الموقع الجغرافي والاستراتيجي الذي تتمتع به فاس، لكونها تقع في الوسط، الشمال للغرب، وهو مركز للاستقطاب الأنشطة الاقتصادية الاجتماعية والبشرية، والى جانب ذلك تحتل مكانة مرموقة نظرا للدور الذي لعبه جامع القرويين من الناحية الثقافية والدينية والعلمية

- كما ساهمت مدينة فاس في نشر الدين في الميدان الفكري، مما أدى إلى منافسات عدة بين علماء فاس. وجود المدارس العلمية التي جعلت فاس حاضرة علمية يتوافد عليها الطلاب من مختلف الأقطار المغاربية والمشرقية[3]

- فقه وعلم وصلاح ودين، وأصبحت قاعدة بلاد المغرب ومركزه، وكانت تمثل دار الأدارسة الحسينين وكذلك دار مملكة زناتة وغيرهم من ملوك المغرب الأقصى.

- ومن المزايا التي تثبت أهمية فاس الخصة من المرمر الأبيض القائمة على ساق من الرخام أيضا التي جلبها لجامع القرويين السلطان السعدي احمد المنصور[4].

- وجود المعلم الحضاري والعلمي الذي كان يقصده عشرات الطلبة والعلماء وتخرج منه الألف إنه جامع القرويين، وتعتبر فاس أقدم حاضرة إسلامية لبلاد المغرب، كما يعدو جامعها أقدم جامعة في العالم الإسلامي بل في العالم بأسره[5]، وقد وصف حسن الوزان جامع القرويين بقوله « وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين وهو في الكبير يبلغ محيط دائرته ميل ونصف ميل وله واحد وثلاثون باب كلها كبيرة وعالية...

---

[1] نفسه، 207.

[2] ابن القاضي، المصدر السابق، ص 42.

[3] مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10 هـ / 16 م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث قسم التاريخ، جامعة فسنطينة، 2014/2013 م ص97.

[4] ابن القاضي، جذوة الاقتباس..، المصدر السابق، ص 46.

[5] نفسه، ص 47.

وصومعة التي يؤذن عليها عالية جدا ويحمل السقف ثمانية وثلاثون قوس طولا وعشرون عرض... في داخل الجامع يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة[1].

المطلب الثاني: الحياة الثقافية في فاس في القرنين 16 و17م

عرف المغرب الأقصى وبالأخص فاس خلال القرنين 10-11هـ /16 – 17م ازدهار الحياة الثقافية، وأصبحت تمثل الحاضرة الثقافية في العالم الإسلامي، وبالرغم من الاضطرابات السياسية التي عاشتها المدينة آنذاك إلى أنها ظلت متمسكة بالجانب الفكري والعلمي حيث تخل السعديون عن فاس كعاصمة سياسية أمام مراكش ، كما فعل بعدهم العلويون كاتخاذ السلطان إسماعيل مدينة مكناس عاصمة له، ورغم تنقل بعض العلماء من فاس ومراكش ومكناس وغيرها من الحواضر من أجل طلب العلم، فقد حافظت فاس على ريادتها العلمية فمثلت بذلك العاصمة العلمية أو الثقافية للمغرب الأقصى، فالملوك بيعتهم منها وشورتهم وفتاويهم فيها، لذا بقيت رائدة للحركة العلمية ولم تفقد مكانتها وقيمتها العلمية[2] .

كثرت العلماء بفاس وتوافد الطلبة، مع تشجيع العديد من الملوك والسلاطين كتأسيس وبناء السلطان أحمد المنصور السعدي مكتبة بجامع القرويين، وبناء السلطان الرشيد العلوي وأخيه إسماعيل مرافق علمية بفاس كبناء مدرسة الشرطين، وترميم وإصلاح العديد من المدارس القديمة والزوايا، كزاوية الفاسية وحضور مجلس العلماء خاصة بالقرويين[3].

لقد وجدت فاس خلال القرن 10 هـ / 16 م ثلاث طبقات متميزة من العلماء أولا طبقة ابن غازي، كما تسمى بطبقة العلماء المخضرمون، والثانية طبقة سقين، التلاميذ الطبقة الأولى ممن عاشوا في أواسط القرن العاشر هجري/16م، والطبقة الثالثة طبقة القصار التي عاشت الثلث الأخير من القرن العاشر/16م ، وهذا ما يؤكد أن مدينة فاس كانت مركز علميا في أواخر القرن 10 هـ وبداية القرن 11 هـ/16-17م، ويضاف إليهم تلك الهجرات البشرية من الأندلس وبلاد المغرب خلال هذه الفترة ساهم في إثراء فاس وجعلها قبلة العلماء[4].

أ. المؤسسات الثقافية في فاس (ق 10- 11هـ/16-17م)

شكلت المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية التطور الفكري الحضاري في فاس وفي المغرب الأقصى عامة، باعتبار تلك المؤسسات كانت تحمل في طياتها مختلف العلوم، وقد عرفت فاس كغيرها من حواضر بلاد المغرب من المؤسسات الثقافية وبرامج تعليمية. وقد مثلت هذه المؤسسات مركز التبادل الفكري والحضاري بين مختلف الأقطاب كما ساهمت في توسيع العلاقات الثقافية وبين بلدان المغرب ومن بين هذه المؤسسات نذكر ما يلي:

- **المدارس:** بذل المرينيون جهود في بناء المدارس، والتي لا تزال أثارها قائمة تشهد على مدى اهتمامهم بالجانب التعليمي، بتشييد العديد من المدارس، والتي كانت تقدم العديد من الدروس في مختلف ضروب

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ص 224 – 225.
[2] محمد حجي، جولات تاريخية، المرجع السابق، ص 238 - 239.
[3] نفسه، ص239-240.
[4] نفسه، ص 239.

العلم، من علوم أدبية وعلمية، لذا تعد من بين أهم المراكز التعليمية[1]. وقد احتوت تلك المدارس على عدة حجرات يقيم فيها هؤلاء الطلبة العلم الأفاقين الذين اثبتوا انتسابهم إلى جامعة القرويين، مع قاعات للدروس وللصلاة ومكتبة واشتملت على تنظيم إداري شامل متكامل[2]، فكان يوجد في كل مدرسة مقدم يتعاهد مع أعوانه شؤون المدرسة والقيام بتنظيفها وإنارتها ، وتوزيع المؤن على الطلاب ومراقبتهم وغالبا يختار المقدم من طرف الطلبة بعد مصادقة من قبل قاضي المدينة ومن بين المدارس[3]:

المشيدة مدرسة الصفارين التي أسست على يد أبو يوسف مؤسس فاس الجديد، وهي المدرسة الواقعة بين جامع القرويين، واحتوت على نفائس الكتب، وما يؤكد ذلك قول روضة القرطاس «**إن الكتب العربية التي سلمها دون سانشلبني في الصلح المبرم عام 684 / 85- 86** حفظت في المدرسة التي أساسها أبو يوسف، وعملت هذه المدارس بصفة عامة على نشر المذهب المالكي والتحكم في المناهج التعليمية وتنمية روح العلم الطلبة وتشجيع ودعم العلماء الطلبة »[4].

المدرسة المصباحية وسميت بهذا الاسم نسبة للأستاذ الضياء مصباح بن عبد الله، كان أول من درس فيها وتقع في شمال جامع القرويين، ولقد استقبلت هذه المدرسة عدادا كبيرا من الأساتذة والطلبة الذين كانت تقدم لهم دروس في النحو والفقه، إن هذه المدرسة كغيرها من المدارس الفاسية تستفيد من الاحباس في الإنفاق عليها، وكانت المدرسة ذات مظهر رائع في الحسن والجمال[5]

مدرسة العطارين سميت العطارين لأنها تقابل سوق العطارين، وخصص لها الفقهاء للتدريس العلم، وحبس عليها أملاك، أطلاق عليها اسم أعجوبة فاس اختصت في دراسة الفقه والنحو[6] .

مدرسة الصهريج تقع قرب جامع الأندلس ، كان الهدف من بنائها البحث عن المؤيدين والمتتبعين للمذهب المالكي، الاستقطاب عدد كبيرا من الطلبة والاساتذة[7]، مدرسة السبعين أساسها الأمير أبو الحسن، وسميت بذلك لأنها كانت خاصة بطلبة الذين يقرؤون بالروايات السبع[8]، والمدرسة البوعنانية التي تعد اكبر المنشآت التعليمية بفاس، وأدت وظيفيتين، وظيفة الجامع ووظيفة التدريس وتقع في وسط فاس، وتحيط بجامع القرويين، ولقد درس في هذه المدرسة العديد من العلماء من بينهم أحمد المقري التلمساني القرشي.

وكانت هذه المدارس تدرس مختلف العلوم من علم التاريخ وعلم الحديث وعلم الكلام، والرياضيات والطب...[9]

.

[1] المدارس: هي مؤسسات تعليمية لنشر العلوم الدينية وغيرها ويتمثل دوره كذلك في إيواء الطلبة والأساتذة، ازدهارا ها النوع من المنشات التعليمية في العصر المريني. (أحمد بوذيبة: المرجع السابق، ص 90.)

[2] روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ص198.

[3] محمد حجي، المرجع السابق، ص241.

[4] روجي روطونو، المرجع السابق، ص 199.

[5] على الجزنائي، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، عبد الوهاب بن منصور، ط 11، المطبعة الملكية الرباط، المغرب، 1991، ص 81.

[6] المصدر نفسه، ص81.

[7] أحمد بوذيبة، المرجع السابق، ص 95.

[8] على الجزنائي، المصدر السابق، ص81.

[9] السلاوي أبو العباس احمد الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج 3، دار البيضاء المغرب، 2001 ص112.

- **المساجـد:** أهمها بفاس القرويين المسجد والجامعة، ويعتبر هذا المسجد النواة الأساسية للمدرسة، لم يكن مكان مخصص للعبادة فقط بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وعلوم الشريعة وفروع[1] العلم المختلفة، لهذا فهو بمثابة جامعة علمية، لو لم يمن الله بها على أهل المغرب أصبحوا يتبعون ديانة غير الإسلام؟؟؟[2].

تأسست هذه المؤسسة على يد فاطمة بنت محمد الفهري 254 هـ / 859 م التي جاءت لتستقر بفاس بعد وفاة زوجها، مع أختها بتوالي تاركين لها ثروة طائلة، فقررت شراء أرض وتشيد عليها مسجد أطلق عليه اسم القرويين نسبة للعدوة التي بني فيها بفاس، وتذهب بعض المصادر في تأسيس هذه المؤسسة للقول بأنه: كان لمحمد الفهري ابنتان فاطمة ومريم ترك لهما بعد موته ثروة عظيمة فتنافستا في الحيز، فأسست مريم جامع الأندلس، وقد ساعدها في ذلك الأندلسيون المقيمون بهذا الحي[3]، واختها بنت جامع القرويين الذي اصبح مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو مركز العبادة والتعليم والمكان الذي اجتمعوا فيه المسلمين، يمثل جامع القرويين أقدم كلية في العالم ،وأول مدرسة في التاريخ نظرا لوجود كليات تابعة لها في كل من فاس ومراكش والعديد من المدن الغربية، ويعتبر مسجد القرويين مؤسسة تعليمية الأقدم مقارنة بكل من مسجد وجامع الزيتونة في تونس، ومسجد الأزهر في القاهرة، ويمثل أقدم جامعة في العالم الإسلامي ومن ابرز وأرق الجامعات ورمز من رموز الهوية الإسلامية ورمز الفكر والثقافة في العالم ، وبفضله أصبحت فاس مركز حضاري يتوافد عليها الطلبة من مختلف أنحاء العالم[4].

ووضعت جامعة القرويين شروط من اجل التحاق الطلبة بها والتي يجب على الطالب أن ينهي دراسته في الكتاب، بحفظه لكتاب الله، مع تمكنه من بعض الكراريس، كما كانوا الطلبة يقيمون في مباني ملحقة بجامعة القرويين، وكل مبنى يضم مابين 50 و60 طالبا كما يزود بوجبة ومياه ويشاركه في غرفته طالب أو أكثر[5]، وكانت مدة الدراسة في الجامعة مابين خمسة وخمس عشر عاما[6]، وتبدأ الدراسة منذ طلوع الشمس إلى غاية الواحدة زوالا، ويتلقى الطلاب العلوم الدينية والعقلية، كما خصص للجامع أوقاف طائلة حتى معظم احباس فاس كانت مخصصة له. كما خصص لمدرسين رواتب منها[7].

أما جامع الأندلس تأسس هذا الجامع سنة خمسة وأربعين ومائتين على يد مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري بعد شرائها لأرض بوجه الصحيح، حيث أنفقت كل مالها على بناء هذا الجامع ، وسميا جامع الأندلس نسبة لأهل الأندلس الذين انزلوا بالعدوة الشرقية من فاس، فسمي عدوة الأندلسيين، كما ساعد على بنائه العديد من الأندلسيين القاطنين هناك لذا سمي بجامع الأندلسيين، كان هذا الجامع مركز للعبادة وكذلك مؤسسة ثقافية، حيث كانت

---

[1] أحمد بوذيبة، المرجع السابق، ص 86.
[2] الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 112.
[3] روجي لطورنو، المرجع السابق، ص78.
[4] إبراهيم حركات، "مدينة فاس وحضارتها"، عن مجلة الثقافة المغربية، العدد 7، المغرب 1972، ص 76.
[5] روجي لطورنو : المرجع السابق، ص106.
[6] نفسهص106
[7] على الجزنائي، المصدر السابق، ص93.

تدرس فيه مختلف العلوم الشرعية والنقلية ، كما كان تقوم فيه الخطبة وكان أول خطيب خطب به هو الفقيه الصالح علي بن محمود الصدفي، وكان مؤذنوا المساجد بفاس يقتدون في أذانهم بأذان جامع القرويين، ووجد العديد من المتقدمين الملازمين لهذا الجامع فمنهم الفقيه الصالح الوالي الورع خير الله ابن القاسم الأندلسي[1] الذي يعتبر نزيل عدوة الأندلسيين من فاس ، وهو من أداخل علم مالك إليه ، وهو من أشهر فقهائها ومقدميهم[2]

- **الزوايا:** هي مكان مخصص للعبادة يجتمع فيه رجال التصوف والعلم، كما تحتوي على ضريح لولي صالح كما أدت الزوايا دور مهما في التدريس العلوم الدينية والنقلية، ومن أهم الزوايا زاوية سيدي أحمد الشاوش القائمة على رأس الرابية المدعوة الجرف، زاوية سيدي عبد القادر الفاسي بالقلقليين على حدود المباني والبساتين، وزاوية احمد التيجاني تبسط تمدد قبابها الهرمية الشكل في حي البليدة[3]، زاوية موالي أدريس[4] وهي بالتالي معدودة من المساجد الجوامع.
- **المجالس العلمية:** هي أمكنة كان يقصدها الطلاب، ومن المجالس مجلس التدريس كتاب الإمام ابن الحاجب الذي كان يضم في حوالي 1588م عشرات من الأعلام من بينهم عبد العزيز الفيلالي ، والفقيه محمد الشريف التلمساني[5]، وكذلك مجلس وراء ظهر خصة العين الذي كان يدرس فيه الشيخ السنوسي العقيدة الكبرى ن ومجلس باب الرواح بيد سيدي يعقوب البدري 999 هـ 1590 م، وغيرها من الكراسي العلمية والمجالس العلمية التي كان جامع القرويين يزدان بها مع المدارس الأخرى التي كانت كفروع له، يتم فيها تدريس مختلف العلوم النقلية والعقلية، من التجويد القرآن الكريم، وتدرس الرسالة القيروانية، وتخرج منها فطاحل الشعراء وجهابذة ونوابغ العلماء كأحمد المقري التلمساني والعربي الفاسي واحمد المنجور ومحمد واحمد ميارة والتمجروتي وبن زكري وأل بن سودة وأل بن المشتنزائي وأبو عبد الله محمد بنو حمدون، وحفيده عبد الكريم بن علي 1199 هـ [6]، وغيرهم ما لم يحصيهم العدد ولا يحصرهم سطور والوريقات.

---

[1] نفسه، ص93.

[2] ابن القاضي، مرجع سابق ص78.

[3] لوطورنو، المرجع السابق، ص 195.

. زاوية موالي ادريس: هي أحدث بكثير من القرويين، إذا يرجع تاريخها إلى دولة إسماعيل كما أنها اقل اتساعا. (جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، المصدر السابق، ج 3، ص97.).[4]

[5] محمد الشريف التلمساني: من أئمة المالكية ومجتهديهم، كان قائما على الفروع والأصول درسا وتحقيقا، اخذ عن ابن الإمام وابن عبد السلام، اشتغل بالتدريس بتلمسان وبمجلس أبي عنان بفاس، توفي (771 هـ / 1369 م). (ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص164.).

[6] العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج5، المطبعة المالكية الرباط، المغرب 1975 ص261.

الفصل الثالث: الرحلات المعاكسة لعلماء تلمسان وفاس.

المبحث الاول: علماء تلمسان بفاس

المطلب الأول: هجرة علماء تلمسان لفاس

المطلب الثاني: نماذج من علماء فاس في تلمسان

المبحث الاول: علماء تلمسان بفاس

تمهيد:

شهد المغربين الأوسط و الأقصى حركة في الهجرة البشرية من و إلى بعضهما بصفة عامة ، وتلمسان وفاس بصفة خاصة[1] ، هذه الحركة تعود جذورها إلى ما قبل القرن 10هـ / 16م ، بحيث شملت فئة العلماء و الصلحاء منهم .

وكانت هذه الهجرة التي مست العلماء على نوعين:

- هجرة قيسرية: كانت نتيجة الاضطرابات السياسية والعسكرية، هروبا من الأوضاع السائدة في البلد.
- هجرة طوعية : تصدر من إرادة الشخص ، تكون مؤقتة تنتهي بانتهاء دوافع الهجرة[2].

لهذه الهجرة أسباب وعوامل، جعلت العلماء يرون في هجرتهم ضرورة لعدم شعورهم بالراحة والجو الغير ملائم للعمل أو العطاء العلمي.

رغم أن مدينة تلمسان كانت بالمغرب الأوسط، ولعدة قرون مركز إشعاع علمي وتعليمي كبير وذلك في العهد الزياني، إلا أن الاضطرابات التي عصفت بها أواخر أيامها في صدور القرن 10هـ/16م، جعل الحركة العلمية تفر فيها.

فقدت المدينة بريقها وقيمتها العلمية، خصوصا بعد دخول العثمانيين وتحويلها إلى منطقة تابعة لهم بالعاصمة الجزائر.

وما شهدته خلالها من اضطرابات سياسية وعسكرية، جعل الوضع العام غير مناسب، ووزاه في هذه المرحلة بالمغرب الأقصى اعتلاء الدولة السعدية الحكم، حيث فرضت نفسها على جميع المناطق الشمالية والجنوبية للمغرب الأقصى.

كل هذا من الدوافع التي ساهمت في تحويل العديد من علماء تلمسان إلى فاس خاصة سنة 968هـ / 1560م ، على إثر تقريب السعديين لعلماء تلمسان[3] ومنحهم المناصب العليا بمختلف المدن المغربية ، كانت أهم محطة لهم مدينة فاس .

ومنه يتبادر للذهن، لم تلك الهجرة صوب فاس بالضبط؟ أهي لقربها؟ أم أنها كانت من أهم المراكز العلمية إشعاعا حينها؟

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 423.

[2] نفسه، ص 423.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 423 – 424.

يعود أهم عامل لاختيارهم مدينة فاس لكونها احتلت الصدارة في الميدان العلمي في الفترة الممتدة مابين (915 – 984هـ / 1509 – 1578م) ، ناهيك عن احتفاظها بمميزاتها المتركزة على العناية بعلوم القرآن ، إضافة إلى العلوم الحديثة و العقلية[1].

وتحتضن مدينة فاس أكبر مركز علمي بالمغرب، والمتمثل في جامع وجامعة القرويين، التي وفرت التعليم والإيواء والمأكل والمشرب والكتب، والخزائن متعددة في مدارس ومساجد مختلفة بفاس، كلها ملحقات تابعة للقرويين إلى جانب تقدير وتبجيل سلاطين المغرب لأهل العلم.

أيضا ساعد قرب المسافة بين المدينتين على ربط علاقات تجارية و ثيقة بينهما ووصلت لحد المصاهرة[2].

تعرفنا سابقا عن أسباب التي أدت إلى التواصل بين مدينتي تلمسان وفاس، سنحاول في هذا الفرع، إماطة اللثام عن مجموعة من الشخصيات العلمية التي هاجرت مدينة تلمسان إلى فاس، هذه الأخيرة التي جلبت إليها خيرة علماء تلمسان، عكس جذب تلمسان لعلماء فاس، فإنها لم تكن بنفس الحدة، فالمغربين شهدا تنقلات معاكسة بين الحضارتين.

الأمر الذي خلق تواصلا حضاريا بين المدينتين من خلال حركة هجرة العلماء، وانتقال تأليفهم.

المطلب الأول: هجرة علماء تلمسان لفاس

شهدت هجرت علماء تلمسان نحو فاس عدة أطوار ، أهم الأحداث التي شهدتها المدينة جعلت بعض العلماء يخرجون منها بعد 1518م ، على إثر الحملة التي قام بها السلطان محمد الشيخ السعدي على تلمسان في 1550م[3].

التي ترجع بعض المراجع انها أقيمت استجابة لعلماء تلمسان لإخراجهم من الفوضى التي كانت تعينها تحت العثمانيين تارة، والإسبان أخرى. وحملة السلطان عبد الله بن محمد الشيخ سنة 1560م[4] ، في كلا الحملتين عادتا و معهما عدة علماء ، أسسوا لأنفسهم بفاس بيوت علمية[5] ، منها :

1- بيت العقباني:

---

[1] محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، ص 13.

[2] محمد حجي، جولات تاريخية، المرجع سابق، ص 238 – 239.

[3] ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م، ص300.

[4] الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549 – 1664)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص31.

[5] محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب مابين سنتي 1830 – 1962، ط1، دار أبي زقزاق، الرباط، المملكة المغربية، 2008، ص30.

يعد بيت العقباني من أشهر البيوت العلمية بتلمسان ، و المغرب الأوسط استمر ثلاثة قرون ونصف ، عرف خلالها أكثر من خمسة عشر فقيها و عالما[1]. ذكره صاحب البستان فقال " العقباني نسبة لعقبان قرية من قرى الأندلس " استطاع علماء بيت العقباني احتكار الوظائف العليا في القضاء الزياني ، وهي وظيفة قاضي الجماعة ، لأكثر من قرن و ربع ، و كانت الفتاوى و النوافل من اختصاصهم[2].

أنجبت أسرة العقباني العديد من العلماء خلال العهد العثماني من بينهم:

* الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني: ت 980هـ / 1571م

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني ، نشأ في تلمسان ، عاش خلال ق 10هـ / 16م ، تعلم بها ثم انتقل إلى فاس بعد انظمام مدينتهم بلعثمانيين وقال عنه ابن العسكر في دوحة الناشر بأنه كانت له " حصة مباركة من الفقه "[3] ذهب إلى فاس رفقة اثنين من علماء تلمسان ، تولى التدريس بالقروبين[4] ، توفي في آخر العشرة الثامنة يعني من القرن العاشر بفاس[5] .

* الفقيه سعيد بن محمد العقباني: ت 1085هـ – 1674م

هو ابن أحمد العقباني ، انتقل إلى فاس ، التقى مع ابن عسكر وقدم له ترجمة في دوحة الناشر[6].

وقد ذكر في شاهد قبره: " السيد الأفضل الفقيه الأجل التالي لكتاب الله عز وجل سعيد بن السيد الفقيه المحدث، الفصيح البليغ أحمد بن محمد العقباني " .

توفي يوم الثلاثاء 28 ذي الحجة 1085 هـ[7].

2- أسرة بني جلال:

تعد من البيوتات والأسر التلمسانية العريقة التي هاجرت إلى فاس، من بين أبرز علماء هذه الأسرة:

---

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص 198 – 199.

[2] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925 – 1246هـ / 1520-1830م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2013 / 2014، ص 333.

[3] ابن عسكر محمد الحيني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1997م، ص 111.

[4] ابن عسكر، نفسه، ص 111.

[5] أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، دراسة وتحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، للنشر والتوزيع، 1433هـ / 2012م، ص 74.

[6] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 333.

[7] فوزية لزغم، نفسه، ص 334.

- أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال (908 هـ / 981هـ) (1502م / 1573م) ولد بتلمسان سنة (908هـ / 1502م) نشأ وتعلم بها[1]، نزيل فاس و مفتيها [2] و خطيبها بالجامع الأعظم ن عميد علمائها وشيخ الجماعة بها[3].

اخذ العلم عن : سعيد المنوي / سعيد المقري / أحمد بن أطاع الله[4].

- رحلته إلى فاس:

رحل إلى فاس مع السلطان السعدي محمد الشيخ عام 958هـ ، حيث نصبه الإفتاء و الغمامة و الخطابة و التدريس بجامع القرويين[5] ، كانوا يستدعونه في جملة أعيان العلماء إلى مراكش و يأخذونه معهم في بعض أسفارهم ، خطب بجامع الأندلس ثمان سنين[6] ، أخذ عنه الغمام المنجور و غيره[7] ، حيث قال هذا الأخير : " كان فقيها علامة مشارعا في كل فن موحد مفتيا ، خطيبا ، استفدت منه في العقائد و الفقه و الحديث و الأدب و غيرها "[8].

أيضا اخذ عنه ابن القاضي، وأبو المحاسن، التفسير، الفقه والحديث أخذ عنه عدد من فقهاء القرن 10هـ / 16م.

حيث قال فيه رضوان الجنوبي انه كان من العلماء الراسخين من بين علم و دين[9] ، كان إمام الأئمة حبرا من أحبار الأمة[10].

توفي بفاس ودفن قرب ضريح علي بن غالب داخل باب مفتوح[11] ، قيل فيه " وطالت أيام رياسته العلمية بفاس حتى أسن و أثقله الهرم و انتفع الفاس ".

3- بيت المقري:

لماذا سمي هذا البيت بالمقري؟ ما هو نسبه؟

---

[1] أحمد بن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 66.

[2] أحمد مريم، المصدر السابق، ص 260.

[3] أبي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، ص 31.

[4] أحمد ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 66.

[5] نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان ى، 1980، ص 77.

[6] الكتاني، المصدر السابق، ص 31.

[7] محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداسية، تق تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 70.

[8] ابن مريم، المصدر السابق، ص 260.

[9] الكتاني، المصدر السابق، ص 75.

[10] الكتاني، نفسه، ص 31.

[11] أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 257.

هو من أعرق البيوتات بتلمسان نسبة إلى جدهم الأكبر علي القرشي المقري نسبة إلى بلد مقرة ، قرية من قرى الزاب الإفريقية[1] ، تجمع المصادر كابن مرزوق أن (مقرة) بفتح الميم و سكون القاف[2] ، حين يرى الأغلبية أنها بفتح الميم وتشديد القاف (مقرة)[3] ، نسب هذا البيت تذكر المصادر أنه عربي النسب من قبيلة قريش ، هذا ما أورده المقري في ترجمته لسياق ترجمته لجده محمد المقري بقوله : " من صرح بالقرشية في حق الجد المذكور ابن خلدون في تاريخه ، ابن الأحمر نثير الجمان "[4] ، فأسرة المقري كانت تتشرف بهذا النسب كون الرسول صلى الله عليه وسلم ينتسب لقبيلة قريش .

انتقلت الأسرة المقرية من مقرة[5] إلى تلمسان ، أول من انتقل جدهم عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي القرشي المقري رفقة الشيخ أبي مدين[6] .

أما من علماء هذه الأسرة الذين توجهوا صوب فاس وكانت له علاقات مع علمائها نذكر:

- سعيد بن أحمد المقري: (928هـ / 1025هـ) (1522م / 1616م):

ولد العلامة سعيد بن أحمد بن يحيى عبد الرحمن بن بلعيش المقري سنة 928هـ/1522م[7] وابن القاضي يذكر في جذوة الاقتباس أن سعيد المقري ولد بعد الثلاثين وتسعمائة[8] وعبد المنعم القاسمي الحسني ذكر في كتابه أعلام التصوف أنه: "ولد في حدود ثمانية وعشرين وتسعمائة "[9]. نشأ بتلمسان وتعلم على يد مشايخها.

*شيوخه بتلمسان: حفظ القران على يد الوهراني[10] الفقه و الأصول والمنطق عن محمد بن عبد الرحمن الوغرابي ، العربية عن سيدي عمر الراشدي ، علي بن يحي السلكسيني[11].

---

[1] المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص 205.

[2] أحمد بابا التنكيتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 420.

[3] أحمد المقري، المصدر نفسه، ص 205.

[4] أحمد المقري، نفسه، ص 204، أيضا: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 420.

[5] مقرة: اختلف في ضبطها، ابن القاضي في جذوره الاقتباس بذكره أن مقرة مدينة بين الزاب والقيروان، والبكري في كتاب المسالك يذكر: " طبنة إلى مقرة ... ومنها إلى قلعة أبي طويل والمقري في مقدمة روضة الأس يقول أنها: أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر

[6] أبو مدين: 1198م اندلسي الأصل توفي بالقرب من تلمسان ينظر عبد المنعم الفاسي، أعلام التصوف في الجزائر، ص 169.

[7] ابن مريم، المصدر السابق، ص 195.

[8] ابن القاضي، المصدر السابق، ص 519.

[9] عبد المنعم القاسمي، نفسه، ص 154.

[10] فقيه تلمسان ونزيل فاس ومفتيها كان مشاركا في العقائد والفقه والحديث ولد عام 908هـ توفي عام 981، ينظر: ابن مريم البستان، ص 260.

[11] الفقيه الخطيب، المحقق في مختلف العلوم في الحساب والفرائض، إماما بمسجد أجادير توفي 22 رجب 972هـ، ينظر: ابن مريم البستان، ص 145.

تصادف سعيد المقري مع بداية الوجود العثماني بتلمسان ، فرحل إلى فاس لينهل من بحر علمها على يد شيوخها من أمثال : الونشريسي ، محمد بن عبد* الوهاب الزقاق[1].

حيث قال الحفناوي " أخذ عن شيوخ فاس عبد الواحد الونشريسي ، علي بن هارون "[2] ، تخرج على يد جيل من علماء تلمسان ومن خارجها منهم : أحمد المقري ، سعيد قدورة ، أحمد بن قاضي[3] ، تولى الفتوى بتلمسان حوالي سنة 966هـ لمدة 60 سنة ، ذكر المخلوف في شجرته الزكية " مقتيها ، تلمسان نحو 60 سنة "[4] ، أيضا تولى الخطابة بالجامع الأعظم خمسا و أربعين سنة ، يقول الحضيني في طبقاته انه كان إمام العلوم ، أنه قال لابن أخيه " إنك تلي خطابة جامع القرويين و الفتوى خمسة أعوام " ، فكان الأمر كذلك.

فالقيمة العلمية التي حظي بها سعيد المقري هي التي رشحته لتولي هذه المناصب[5] ، فنتيجة تضلعه لعدة علوم نقلية و عقلية ، أطلق عليه إسم ولقب العلامة ، الفهامة وغيرها من الأسماء المبرزة لمدى تبحره في ضروب العلوم . فكان بارعا في النحو ، التوحيد ، الفقه ، الحديث ، اللغة العربية ، المنطق الأصول ، حافظا لأشعار العرب ناهيك عن ولعه بالطب ، لذا شدت إليه الرحلة بتلمسان لطلب العلم[6] .

عرف عنه انه من العلماء المعقولين رغم الخرقة الصوفية[7] و تدريسه علم التصوف كما انه مارس نشاط اقتصادي لإعانة نفسه وذلك بطريقة الشراكة كما كان يفعل أهل زمانه[8].

لم يعرف عليه أي مؤلفات فتصديه للفتوى و التدريس شغله عن التأليف لكن ترك مجموعة من التلاميذ الذين ألفوا الكتب خير خلف لخير سلف[9] ، كانت لع العديد من المراسلات مع علماء فاس بالرغم انه ذهب إلى فاس في سن مبكرة أي في صغره ، تلك المراسلات كانت في شؤون علمية وفقهية من بين هؤلاء الذين كانت لهم

---

[1] الأفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط1، تح، عبد المجيد خيالي، مركز تراث ثقافي، المغرب، دار البيضاء، ص 101 – 102.

* عبد الوهاب الزقاق: قاضي الجماعة بفاس (للمزيد من المعلومات ينظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1931م، ص 410.

[2] محمد الحفناوي أبو القاسم، المرجع السابق، ج1، ص 426.

[3] الأفراني، المصدر السابق، ص 101.

[4] مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 295.

[5] الحضيكي، طبقات الحضيكي، ط1، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، مملكة مغربية، 2006، ص 572.

[6] ابن مريم، المصدر السابق، ص 196.

[7] الخرقة الصوفية، القطعة الممزقة من الثوب المقصود بها عند أهل التصوف أنها بردة البني (ص)، ينظر: عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، ص 936.

[8] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 377 – 378.

[9] أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص 378.

مراسلات كثيرة مع سعيد المقار ، العلامة أبو العباس احمد بن القاضي الذي راسل سعيد المقري يشكره على الهدية التي أرسلها إلى مدينة فاس المتمثلة في ابن أخيه احمد المقري فقال له :

أرسل للغرب القصي بدرة قد أبهرت وغلت لها الأسوام فجزيت خيرا ياسعيد عن الورى بابن الأخ العلامة الصمصام[1]

قد أجاز سعيد المقري أبو العباس أحمد بن القاضي بعد زيارة احمد المقري إلى فاس التقى بابن القاضي الذي طلب منه إجازة من عمه سعيد المقري ، مما جعله يرسل رسالة إلى هذا الاخير بتلمسان يطلب منه الإجازة ، ولما وصلت الإستجازة إلى سعيد أجابه بنظم يجيزه فيه[2] . تاريخ وفاته لم يضبط حيث ذكر الأفراني انه توفي 1011ه / 1602م[3] ، في حين يذهب ابن مريم صاحب البستان انه توفي 1011ه/ م فيقول انه كان حيا سنة إحدى و عشرو ألف ، و الحضيكي ذكر في كتابه انه توفي سنة عشرة و ألف[4].

- الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المقري (986ه / 1041ه) (1578م / 1631م)

هو أبو العباس بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي العيش المقري ، ولد بتلمسان سنة 986ه / 1578م[5] ، أحمد المقري بفتح القاف المشددة من ذرية القاضي أبي عبد الله المقري التلمساني[6]. نزيل فاس[7] ، تلمساني المولد و النشأة.

حيث تحدث أحمد المقري في كتابه نفح الطيب قائلا : " وبها – تلمسان – ولدت أنا و أبي وجدي وجد جدي ، و قرأت بها و نشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس"[8] ، ومن العلوم التي تحصل عليها بمدينته فقد أوردها قائلا : " قطعنا نبذة من الشباب في موطن الأحباب ، مابين دراسة و دراية و رواية و مثول بين أيدي أشياخ مجالسهم نامية الغروس "[9]. حفظ القرآن بتلمسان أخذ عن عمه سعيد المقري ، الأخير أسهم في تكوينه تكوين أديبا موسوعيا[10] ، فكان مؤرخا.

---

[1] الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 77 – 78.

[2] أحمد المقري، روضة الأس، ص 232 – 246.

[3] الأفراني، المصدر السابق، ص 102.

[4] طبقات الحضيكي، المرجع السابق، ص 571.

[5] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح وتع مصطفى السقا وآخرون، دط، مطبعة لجنة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ج1، ص 10.

[6] الأفراني، المصدر السابق، ص 143.

[7] الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والرواية، تق وتح وتع أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 231.

[8] المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 05.

[9] المقري احمد بن محمد ن المرجع السابق (أزهار الرياض)، ج1، ص 10.

[10] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج1، ص 212.

درس الفقه على يد العديد من علماء تلمسان[1] ، كان آية في علم الكلام و التفسير و الحديث[2] ، قرأ على عمه صحيح البخاري سبع مرات و روى عنه الكتب* السنة[3].

- شيوخه بتلمسان:

أخذ عن عمه سعيد المقري الفقه والحديث، واستفاد منه من مختلف العلوم حيث أشاد في استفادته من عمه قائلا:

كسيدنا مفتي تلمسان عمنا سعيد فكم نلنا معارفه قطفا[4]

أيضا قال في رحلته : " قدروتي جامع البخاري عن عمي الشهير في الأقطار سعيد المقري مفتي المغرب"[5].

وفي قصيدته أجاز فيها أقر فيها لأخذه جامع البخاري عن عمه قائلا:

قد أخذت جامع البخاري عن عم الحائز للفخار

المقري سعيد الغمام عن محمد يدعى خروفا حين عن[6]

وفي قصيدة أخرى أشاد فيها بعمه سعيد كاتبا:

و أقربها عن عمنا العالم الرضى سعيد جزاه الله عن نفعنا أجرا[7]

- شيوخه بالمغرب الأقصى:

هم كثيرون منهم : أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن احمد اعمران السلامي الذي كان قاضيا و مفتيا بفاس أيضا أخذ عن أحمد بابا التنبكتي[8] ، و احمد بن*القاضي الفاسي و القصار[9].

---

[1] الحسني عبد المنعم الفاسي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب ع1، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427هـ، ص 112.

[2] نويهض عادل، المصدر السابق، ص 311.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 72.

* هي الكتب المعتمدة في الحديث لدى أهل السنة هي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن ابن داوود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجة

[4] المقري أحمد بن محمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح محمد بن معمر، مكتبة رشاد، الجزائر، 2004، ص 193.

[5] المقري أحمد بن محمد، المصدر السابق، ص 78.

[6] المقري أحمد بن محمد، نفسه، ص 166.

[7] المقري أحمد بن محمد، نفسه، ص 154.

[8] أحمد بابا التنبكتي، ولد ونشأ في تنبكتو تلقى تعليمه في البيئة السودانية على يد والده، قرأ التفسير، الحديث الفقه، له ما يزيد عن أربيعن تأليفا (لمزيد من المعلومات، ينظر: أحمد التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطرير الدباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص 11 – 12.

[9] الأفراني محمد بن الحاج بن عبد الله الصغير، المصدر السابق، ص 143.

* (ت 1025 – 1616) فقيه أديب، المؤلف المكثر، الكناشة الأدبية له فيها نصيب الأسد (لمزيد من المعلومات: ينظر: محمد حجي، جولات تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص 159.

- تلاميذه:

تتلمذ على يده العديد من بينهم : عيسى الثعالبي ، عبد القادر القاسي ، أحمد ميارة الفارهي عبد الرحمان العامري[1] .

- رحلات احمد المقري العلمية:

قام طوال حياته برحلتين هامتين سجلهما في كتابه المسمى: " رحلة المقري إلى المغرب والمشرق ".

أ- رحلته إلى المغرب الأقصى:

في تاريخ ولادة احمد المقري كان قد مر على دخول الأتراك المدينة ثلاثة عقود من الزمن وبسبب الفتن التي كانت آنذاك وفقدان المدينة أهميتها[2] ، جعل العلماء يهاجرون من تلمسان صوب المغرب الأقصى و المشرق ، حيث اكتفى المؤلف عمن بقي بالمدينة في مقدمتهم عمه سعيد هذا الأخير زين له الرحلة إلى فاس و رغبه آن يكمل حياته العلمية بها[3].

كانت أولى رحلات المقري إلى المغرب الأقصى نحو فاس حيث حل بها في صفر سنة 1009هـ / 1600م ، وهو في سن يوشك على إتمام ثلاثة و العشرين من عمره[4] أخذ بها عن القصار . وقد قال عن هذه الرحلة في كتابه ازهار الرياض " ... أنه لما سبق القضاء وجرت الأقدار ، بارتحال عن الوطن المحبوب ... حللت الحضرة الفاسية "[5] ، بعد ذلك ذهب غلى مراكش مع القائد ابراهيم محمد الأيي سنة 1010هـ / 1601م[6] . واتصل بأبي العباس المنصور الذهبي ، حيث ظل بها سنتين ، ثم رجع إلى فاس عام 1013هـ / 1603م حيث أقام بها أربعة عشر عام[7] . فتولى بها الفتوى و الخطابة بجامع القرويين عام اثنين و عشرين 1022هـ[8].

وقد وصف حالته بمدينة فاس قائلا : " بلد طاب لي به الانس حينا ... وصفا العود فيه و الأبداء ... فسقت عهده العهاد وروت ... منه تلك النوادي"[9] ، بعد ذلك خرج إلى الحج سنة 1027هـ / 1617م بسبب اتهامه بالميل

---

[1] المقري أحمد بن محمد، المصدر السابق، ج03، ص 168.

[2] سعد الله أبو االقاسم، المرجع السابق، ج2، ص 212.

[3] المقري أحمد بن محمد، المصدر السابق، ص 05.

[4] المقري أحمد بن محمد، المصدر السابق، ص 05.

[5] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار العياض، تح وتع مصطفى السقا وآخرون، دط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ج1، ص 4 – 5.

[6] المقري أحمد بن محمد، المصدر نفسه، ص 05.

[7] الأفراني محمد بن الحاج بن عبد الله صغير، المرجع السابق، ص 144.

[8] الحفناوي أبي القاسم محمد، المرجع السابق، ص 55.

[9] المقري احمد بن محمد، نفح الطيب، ص 07.

لجماعة الشراكة ، فعند خروجه منها قال : " دخلت كمائها و خرجت كمائها "[1] كان آية في الزمان حفظ النقول ، مستحضرا للفقه و الموازل ، ولوعا بالأدب[2].

حفظ المغرب للمقري الجميل ذلك بسبب الدور الذي لعبه فألفت في سيرته ثلاث كتب (النور البدري في التعريف بالفقيه المقري)[3] . يذكر أبو القاسم سعد الله أن هناك أشعار وكناشات بالمغرب تنسب للمقري، فطموح المقري كان بلا حدود على حد قوله:

لي عزم كحد السيف ماض لكن الليالي من خصومي[4]

رحل المقري من المغرب بعد أن قضي به حوالي ربع قرن ن لكن كانت هناك نية له في العودة إلى المغرب لأنه ترك فيه أهله و مكتبته[5] .

حصل المقري على إجازات عديدة وهو بالمغرب من بعض العلماء أمثال: أبو العباس احمد ابن القاضي، أبو العباس احمد بن أبا القاسم التادلي وبالمقابل قام احمد المقري بتقديم العديد من الإجازات العلمية سواء بالمغرب أو بعد رحيله إلى المشرق، ومن جملة العلماء الذين أجازهم:

الشيخ احمد بن علي السوسي البوسعيدي ، و أحمد بن موسى الفاسي ، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري الذي أجازه نثرا بعد أن قرأ عليه مختصر خليل و الموطأ و ابن الحاجب[6].

- مؤلفات أحمد المقري:

خلف أحمد المقري ثروة هائلة من الكتب التي ألفها بتلمسان وفاس و مصر في كل من الأدب و التاريخ و العقائد و الفقه ، وكذا علوم القرآن و الحديث[7] مؤلفاته تقارب الأربعون تأليف [8] من بينها :

– نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب / أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس / فتح المتعال في وصف النعال / رحلة المقري إلى المغرب والمشرق إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.

– أنواء نيسان في أنباء تلمسان حيث أشار في النفح قائلا : " وقد كنت في المغرب نويت أن اجمع في شانها كتابا ممتعا أسميته بأنواع نيسان في أنباء تلمسان "[9] ، كانت له شخصية بارزة في عهده .

---

[1] الأفراني، المرجع السابق، ص 143.

[2] الأفراني، نفسه، ص 143.

[3] المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب، ص 24 – 25.

[4] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ج2، ص 212.

[5] سعد الله ابو القاسم، نفسه، ص 213.

[6] فوزية لزغم ن الاجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، 1518 – 1830، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2011، ص 193.

[7] المقري أحمد بن محمد، المصدر السابق، ص 17.

[8] المقري أحمد بن محمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص 08.

[9] المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب، ص 267.

وافته المنية في مصر عام 1041هـ / 1631م ، دفن بمقبرة المجاورين[1].

المطلب الثاني: نماذج من علماء فاس في تلمسان

رغم أن هجرة علماء فاس نحو تلمسان لم تكن بالقدر في الاتجاه المعاكس إلا انه وجد عدة شخصيات علمية مغربية توجهت لتلمسان إما للعلم أو الاستقرار من أمثال:

- أبا محمد عبد الله الوريا جلي:

كان من فحول العلماء الذين تشد إليهم الرحال ، رحل إلى تلمسان للأخذ عن الإمام ابن مرزوق ، لما وصل إلى تلمسان باكر إلى مجلسه ولم يعرفه أحد ، فأورد عليه في المجلس مسائل لم يجد لها ابن مرزوق جوابا[2] ، ثم عاد إلى بلاده و أصبح من أشهر علماء المغرب في النصف الثاني من القرن 09هـ / 14م[3].

- أحمد بن محمد بن عيسى المرنوسي الفاسي الشهير برزوق:

هاجر في النصف الثاني من القرن 9هـ / 14 م إلى تلمسان و أخذ عن علمائها أمثال أحمد بن زكرى[4] . ثم هاجر إلى مدينة الجزائر حيث اخذ عن عالمها و غمامها عبد الرحمان الثعالبي[5] ، وكان ثائرا على أهل الصوفية المبتدعة وله تأليف حولها.

- محمد بن سليمان الجزولي: (1014هـ / 1605م):

من قبيلة جزولة بالمغرب الأقصى عاش بمدينة تلمسان ، قام بشرح نظم شيخه موسى بن علي الملالي الحسني التلمساني من شيوخه بتلمسان : محمد بن محمد بن رحمة[6].

- محمد بن أحمد السيتيني الفاسي:

رحل إلى تلمسان ، أخذ فيها عن كبار مشايخها : أبي عبد الله بن موسى الوجديجي مفتي تلمسان ثم رحل إلى قسنطينة[7] . من فقهاء المالكية بفاس ومفتيها.

- عيسى أبو سعيدي الهتنائي:

رحل إلى تلمسان و تصدر التدريس بها[8] .

---

[1] نويهض عادل، المصدر السابق، ص 311.

[2] ابن عسكر، المصدر السابق، ص 30 – 16.

[3] عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ، جامعة دمشق، إشراف ليلى الصباغ، ص 341.

[4] الفقيه الأصولي، البياني، المنطقي (للمزيد من المعلومات ينظر: ابن مريم السبتان، ص 38.

[5] توفي في الجزائر 875هـ (ينظر: أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج، ص 173 – 175.

[6] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج3، ص 223 – 224.

[7] عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب، ص 355.

[8] عمار بن خروف، نفسه، ص 355.

– إن التواصل بين علماء فاس مختلفة بين انتقالها مع العلماء أو بطرق أخرى كالإهداء أو نقلها شفهيا عن طريق الحفظ، أهم طريقة وصلت من خلالها المصنفات المغربية إلى تلمسان كانت عبر قوافل الحج بالإضافة إلى عودة علماء تلمسان حاملين معهم المصنفات المغربية: من بين هذه المصنفات نذكر:

– بعد اطلاع أبو العباس احمد المقري على مكتبة شيخه عبد الواحد بن احمد الرجراجي ، وجد بها كتب نفسية مثل ، توضيح خليل ، فأهداه الرجراجي نسخ منها فعاد المقري بها إلى تلمسان[1] كما نسخ مجموعة من الكتب التي اطلع عليها بخزانة دولة المنصور و عاد بها سنة 1601م . بالإضافة إلى المراسلات التي كانت بين علماء الحضارتين مثل مراسلات بين سعيد المقري وعلماء فاس من العلماء الذين راسلوه احمد بن القاضي.

[1] أحمد المقري، روضة الأس، ص 289.

الفصل الرابع: نتائج التواصل الحضاري بين مدينتي تلمسان وفاس

المبحث الأول: نتائج التواصل بين تلمسان وفاس

المطلب الأول: نتائج هجرة علماء تلمسان على فاس

المطلب الثاني: نتائج هجرة علماء فاس على تلمسان

المبحث الأول: نتائج التواصل بين تلمسان وفاس

تمهيد

عرف القرن 10 و11هـ /16-17 م تأرجح ما بين السلم والحرب في العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، بينما عرفت العلاقات الثقافية نشاطا، حيث لم تكن الأوضاع السياسية عائقا أمام حركة علماء تلمسان وفاس مما ساهم في بناء التواصل الحضاري مابين البلدين، كما تعتبر المراكز الثقافية بين الحضارتين عاملا فعال في استقطاب علماء والطلبة، باعتبار فاس كانت تحتوي على أكبر وأهم المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي وعلى رأسها جامعة القرويين، ساهم هذا في تمتين وربط العلاقات وتشجيع عملية التواصل الثقافي بين هذه الحاضرة وتلمسان، فأسفر هذا التواصل الثقافي على عدة نتائج بين المغربين (تلمسان وفاس) سواء كان توتر بالإيجاب أو السلب، وهذا ما حاولنا الوقوف عليه في هذا الفصل.

المطلب الأول: نتائج هجرة علماء تلمسان على فاس

إن سياسة العثمانيين في الجزائر والحروب التي عرفتها الدولة العثمانية خلال القرنين 16 و 17م، وعدم الاهتمام بالنشاط الثقافي جعل العلماء لا يشعرون بالراحة مع قلة الحظ في الاجتهاد العلمي، لذا قرر العديد منهم الرحيل والهجرة، فحملوا الأمتعة والأهل وتركوا البلاد، في ظل ظروف صعبة لم تكن تشجع علماء الجزائريين (تلمسان) على البقاء في وطنهم لأن من طبيعة العالم هو البحث وتوفر الجو الذي يسوده الهدوء والاستقرار من أجل تأدية رسالته العلمية على أكمل وجه.

كما عرف القرن 10هـ/16م نوع من الجمود الفكري، ومما زاد الطين بلى تركيز العثمانيين على الجهاد والبحث عن المناصب السياسية وجمع الأموال، إلى جانب أنهم غالبا لا يتقنون اللغة العربية ما جعلهم لا يشجعون النشاط الثقافي بشكل كبير حيث يذكر الباحث أبو القاسم سعد الله أن الأتراك حكام الجزائر آنذاك أنهم في معظم الأحيان كانوا جملة لا يعرفون القراءة والكتابة ، كما كان همهم الوحيد جمع المال والتسلط والسلطة .[1]

وبالإضافة إلى حروب الأتراك الداخلية التي كانت السبب المباشر في هجرة العلماء الذين كانوا ضحية الوضع السلبي والذين اختاروا طريق الهجرة [2] إلى فاس منهم: محمد بن عبد الرحمن المغراوي المعروف بابن جلال، أبو العباس أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، أحمد المقري .

بدوا عليه أنه أراد العودة إلى بلاده لأنه ترك فيه أهله وابنته ومكتبه ، وأصبح يدرس العلوم وخصوصا التفسير، ورغم دوافع هجرة العلماء تلمسان إلى فاس فكانت هناك نتائج إيجابية على البلدين، حيث ترتب عن العلاقات الاجتماعية كمصاهرة والتجانس بين البلدين في مختلف العادات والتقاليد التي أصبحت مشتركة بينهم وكذلك من بين إيجابيات التواصل بين فاس وتلمسان أنه كان هناك تلاحم وتضامن بين الحاضرتين.[3]

هجرة العلماء إلى فاس مكنتهم من الاستقرار هناك وتقلدهم وظائف سامية وكانت لهم مكانة مرموقة بين أهل فاس والمغرب الأقصى عامة، هذا ما يؤكد أن التواصل الثقافي بين فاس وتلمسان وهجرة علمائها كان من أجل الدراسة والعلم واستقرارهم بفاس خاصة الدراسة في جامع القرويين كالسعيد المقري، وأحمد المقري.

ومن أثار هجرة وأمثلة ذلك ما قام به محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد الذي عمل كثيرا على نشر العربية لأهل تارودانت البربرية وإلى جانب ذلك قام بنشر العلوم الدينية واللغوية، وعلم الفقه والتفسير وقواعد اللغة حيث تمدرس وتخرج على يده العديد من الطلبة والعلماء، فهجرة العلماء إلى فاس مكنتهم من الوصول في المناصب الدينية والعلمية .[4]

ساهمت عملية التواصل الحضاري بين فاس وتلمسان في تمتين العلاقات بين المغربين إذ كانت هجرة علماء تلمسان إلى فاس قد أثرت بالسلب من خلال إفراغ الساحة الثقافية من خيرة علمائها، بالمقابل كانت أثرت بالإيجاب

---

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 14.

[2] الهجرة: هي النزوح من أرض إلى أخرى، والهجرة هي انتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق ويقال هاجر أي ترك وطنه، أي تركه وخرج منه إلى غيره، وهاجر القوم أي هجرهم وانتقل إلى الآخرين. (شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط 4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ص 973.).

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 14.

[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 115.

على المغرب الأقصى وخاصة من خلال تأثر سلاطين المغرب الأقصى بالعلماء، إذ تلقى العديد من علماء تلمسان ترحيبا من حكام المغرب الأقصى (فاس)، فنجد السلطان محمد الشيخ السعدي الذي رحب بالعالم محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني فمنحه منصب الإمامة والفتوى والتدريس لجامع الأندلس وجامع القرويين بفاس.

كما ساهمت هجرة العلماء من خلال العمل على تقوية العلاقات بين الشعبين، فأصبحت العلاقات الثقافية متينة وقوية عن طريق العلماء.[1]

لم تكن هجرة العلماء إلى فاس هروبا من الوضع السياسي فقط بل كانت تسعى إلى نشر العلوم في مختلف المدن الأخرى مثل مراكش، خصوصا خلال النصف الثاني من القرن 10هـ/16م، عندما أصبحت مركز خلافة السعديين، فأصبحت مقصد البعض من علماء تلمسان، كالعالم محمد بن عبد الله المعروف بشقرون الذي قدم للناس علمه ونشر ثقافته وسط المغرب الأقصى، فدرس عنده وانتفع بعلومه العديد من الملوك السعديين ومن بينهم السلطان الغالب بالله والسلطان أحمد المنصور، والعالم ابن القاضي صاحب التأليف العدة في العهد السلطان احمد المنصور الذهبي السعدي، وابن عسكر، والعالم أحمد المنجور... وغيرهم كانوا يتلقون منه دروس في المنطق والفقه والتفسير والبلاغة، والفرائض والحسابات هذه العلوم التي كان يدرسها تدل على أنه كان بمثابة مكتبة متنقلة.

معظم الفتن التي كانت بين أهل تلمسان والحكام العثمانيين، سببا في هجرة علماء تلمسان إلى فاس، ولكن كانت للمقري طموح كان يسعى لتحقيقها رغم العلاقة العدائية بينه وبين العثمانيين.[2]

بالحواضر المغربية كالتدريس والإمامة والخطابة، وفي المقابل ضعف علماء المغرب الأقصى في فرض أنفسهم في الجزائر بسبب تعصب حكم الأتراك في الجزائر كما أثرت هجرة علماء تلمسان على الوضع الثقافي في تلمسان وفي المغرب الأقصى عامة بعد رحيل خيرة علمائها الذين كانوا بمثابة الشعاع الثقافي في الجزائر، فهجرتهم تركت فراغا ثقافيا في تلمسان وفي المراكز الثقافية التي هاجروا منها، فقدت تلمسان أكبر عدد من علمائها، وبالتالي عرف النشاط الثقافي انهيار وإهمال في نفس الوقت.[3]

لذا كان نشاط الحياة الثقافية في الجزائر مرتبط بشكل كبير بجهود العلماء الجزائريين (تلمسان) فقد سببت هجرتهم فراغا ثقافيا، وكانوا بمثابة نعمة على المغرب الأقصى لانتفاع أهل العلم وطلبته، حتى أصبحت جل الحواضر الثقافية في فاس لا تخلو منهم.

وباعتبار العلماء كانوا يتسمون بأفضل السمات و حاملين لمختلف العلوم خلال الفترة 10- 11هـ، فقد استفاد منها مختلف الأجيال اللاحقة مما جعل صورة العلماء ترسم وتبقى راسخة في ذهن المجتمع والتي كانت بالدرجة الأولى العلوم الشرعية.[4]

---

[1] أزرقي شويتام: "العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفتوة العثمانية)"، عن مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، الجزائر 2001، ص 86-87.

[2] عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 153.

[3] مسعود بقادي: المرجع سابق ص 118.

[4] ابن عسكر: المصدر السابق، ص 37 - 38.

مما تجدر الاشارة إليه هو أن علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى لم تكن وجهتهم فقط مدينة فاس، بل هناك من قصد فاس ثم توجه إلى مدن مغربية أخرى ومم أمثلة على ذلك مدينة مراكش. خاصة خلال النصف الثاني من القرن 10 هـ / 16 م، بعدما أصبحت مقرا لخلافة السعديين فتوجه إليها بعض علماء تلمسان منهم محمد بن هيبة المعروف بشقرون.

وقد كان للعلماء مكانة علمية مرموقة بفاس، وكانوا يحترمون من طرف حكام المغرب الأقصى وكانت لهم معاملة خاصة.[1]

المطلب الثاني: نتائج هجرة علماء فاس على تلمسان

عرفت عملية التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى هجرة العديد من علماء فاس إلى تلمسان، حيث توافد عدد كبير من علمائها على تلمسان وشيوخها وشهدت قدوم الأسرة الوطاسية والعديد من الأمراء السعديين إلى تلمسان وعدد من علماء فاس، كأحمد اليستيني وقدوم عيسى أبا سعيد الهنتائي الذي جاء إلى تلمسان و أصبح يدرس في أكبر وأشهر مؤسساتها الثقافية.[2]

كما تسبب انتشار النزاعات والفتن في فاس وبالمغرب الأقصى عامة إلى هجرة علمائها، ولم تكن سببا في إيقاف نشاطها العلمي والثقافي وخاصة مع توافد العديد من العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية الذين زرعوا مختلف العلوم التي جعلت فاس تحتوي على أكبر وأشهر المراكز الثقافية في المغرب الأقصى والمغرب الإسلامي كجامع القرويين وجامع الأندلس.

كما عرفت فاس انتشار الزوايا الصوفية من خلال حركة العلماء وتوافد العلماء عليها مما نتج عنه تمازج بين **الثقافتين** لاشتراك العامل الديني بين البلدين، فعرفت فاس أشهر الزوايا في المغرب الأقصى ألا وهي الزاوية الفاسية بحي القلقيين التي شهدت استقطاب الكثير من الطلبة عليها ومن مختلف البقاع الإسلامية وحتى من المغرب الأوسط وبالتحديد من تلمسان.[3]

ودخول العديد من علماء المغرب الأقصى إلى الجزائر الذين لقوا ترحيبا من طرف حكام الأتراك فكانت هناك علاقات ودية بين الطرفين، حيث منحوهم المناصب العليا كالتدريس والإمامة وخطابة وذلك نظرا للفراغ الثقافي الذي تركه علماء الجزائر من خلال هجرتهم إلى المغرب الأقصى ومن جهة أخرى الهجرة في معرفة أخبار المغرب الأقصى والأوسط .[4]

ومن بين أثار هجرة علماء فاس إلى تلمسان أيضا انهيار تلمسان لمكانتها السياسية كعاصمة للمغرب الأوسط لحساب مدينة الجزائر التي أصبحت تستقطب علماء المغرب الأقصى لزيارتها والبقاء فيها والتقرب من حكامها.[5]

---

[1] عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 130.
[2] المرجع نفسه، ص 115.
[3] محمد حجي: المرجع السابق، ص 300.
[4] عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 122.
[5] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 2013، 2014.

ومن خلال عملية التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس ما بين القرنين 16–17م نستنتج جملة من النتائج خلفها هذا التواصل مابين البلدين وهي كالآتي:

– ساهمت عملية التواصل الثقافي بين البلدين في إعطاء هوية لمنطقة المغربين ما زالت تغرس روح الاعتزاز والمفخرة والانتماء إلى المغرب الكبير

كما نجحت حركة العلماء في نشر العلوم ومنحهم مختلف العلوم عبر المغربين وتخرج العديد من الطلبة على أيديهم كابن جلال الذي أصبح لديه في فاس تلاميذ معترف لهم كأحمد المنجور، كما علم ابنه محمد المرابط والذي أصبح يتولى الخطابة بجامع القرويين والأندلس .[1]

أثرت علمية التواصل بالإيجاب في غالب الأحيان لنشر العلوم والنهوض بمختلف العلوم وتطويرها ونشر الثقافة الدينية وتوعية المجتمع.[2]

– وصول علماء المغرب الأوسط إلى أعلى المناصب العلمية والدينية بحواضر المغرب الأقصى من إمامة وإفتاء والتدريس والقضاء، على عكس علماء المغرب الأقصى الذين عجزوا على فرض أنفسهم والوصول إلى المناصب العليا كعلماء تلمسان، وهذا ربما بسبب الاختلاف المذهبي بين حكام الجزائر والمغرب الأقصى.

dميزت الحياة الثقافية في المغرب الأوسط (تلمسان) بالركود والجمود الثقافي رغم وجود العديد من المراكز العلمية والمؤسسات الثقافية وهذا لعدم تنشيط حكام الأتراك للحياة الثقافية أو العمل على تطويرها، وانشغالهم بالأمور السياسية والعسكرية باستثناء بعض الحكام الذين عملوا على تشييد بعض المنشآت الثقافية.[3]

بقدر ما كانت علمية التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس تأثرت بالإيجاب في تفعيل وتنشيط الحياة الثقافية في بعض الحواضر، بقدر ما أثرت بالسلب على البعض منها كإفراغها من خيرة وأشهر أعلامها.

[1] الصالح بن سالم: التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549 – 1664 م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة قسنطينة، 2013 - 2014، ص 172

[2] مسعود بقادي: المرجع سابق، ص 123.

[3] الصالح بن سالم: المرجع السابق: ص 133.

خاتمة

خاتمة

خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس من خلال حركة العلماء وقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نوجزها فيما يلي:

– لقد ساهم الانقسام الداخلي في المغرب الأوسط) الأسرة الزيانية (في إضعاف السلطة المركزية، الشيء الذي سهل على الإسبان الاستيلاء على السواحل الجزائرية. كذلك الشأن بالنسبة للمغرب الأقصى، فبتدهور أوضاع الوطاسيين استولى البرتغاليين على جل سواحل المغرب الأقصى، فبرز على الساحتين الجزائرية والمغربية قوتان جهاديتان، تمثلت الأولى في الإخوة بربروس والثانية في الأشراف السعديين، اللذين استطاعا تحرير سواحل المغرب العربي.

– كان لتردي الأوضاع السياسية في المغربين، انعكاسات شملت شتى الميادين خاصة الميدان الثقافي، حيث طغى الجمود الفكري، الأمر الذي جعل العلماء ينتقلون من تلمسان إلى فاس والعكس من أجل العطاء العلمي.

– ساهمت عملية انتقال العلماء بين مدينتي تلمسان وفاس في بعث الحياة الثقافية في بعض الحواضر بقدر ما ساهمت في تدمير حواضر أخرى وإفراغها من خيرة علماءها.

– نجح السلاطين السعديين في استقطاب أفضل علماء تلمسان، بفضل سياستهم المبنية على توقير العلماء، وتقليدهم المناصب العليا.

– وصل علماء تلمسان إلى أرقى المناصب العلمية والدينية بالحواضر المغربية عموما، فاس على وجه الخصوص (كالإفتاء ن الغمامة ن الخطابة، التدريس).

– تاريخ التواصل الحضاري بين تلمسان وفاس لا يمكن أن ينحصر في شخصيات محدودة فالعادات والتقاليد والتاريخ المشترك بين المغربين أقوى. ذكرنا لنماذج من العلماء الذين قامو بتلك الرحلات المعاكسة بين تلمسان وفاس إلا تقديرا لجهدهم في خلق ثقافة مغاربية موحدة.

– هجرة علماء تلمسان إلى فاس كانت وبالا على المغرب الأوسط، بالمقابل كانت خيرا وبركة على المغرب الأقصى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1-المصادر باللغة العربية:

أ-مصادر عربية:

1- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ببور سعيد، مصر، 2001م.

2- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: ابن أبي شنب، دط، المطبعة الثعالبية، الجزائر العاصمة ،1908م.

3- الأفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوادس، دط مطبعة بردين، انجي ،1888م.

4- بن عسكر محمد الحسني الشفشاوني، دوخة الناشر لمحاش من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح، محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب ،1997م.

5- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية من بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم، ط2، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981م.

6- التنبكتي أحمد بابا، ينل الابتهاج بتطوير الديباج، تق، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، 2000م.

7- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دط، ج5-6، دار صادر، بيروت، لبنان ،1408ه/1988م.

8- المقري أبو العباس أحمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: أحمد أعراب، وعبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة للتراث الإسلامي، المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة ،1978 م.

9- المقري أحمد بن محمد، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضر بين مراكش وفاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط1، دار المدار الثقافية، الجزائر ،2011م.

10- الجزنائي علي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط ،1412ه/1991م.

11- المكناسي أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، ج2، طبعة حجرية، فاس، المملكة المغربية ،1309ه/1981م.

12- مؤلف مجهول، عزوات عروج وخير الدين، ط1، ترد، محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر ،1431هـ/2010 م.

2-**المصادر المعربة:**

1- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (بيون الإفريقي)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1983م.

2- كاز خال مارمول، إفريقيا، ج1، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984م.

3- لوطورنو روحي، فاس قبل الحماية، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1412هـ/1992.

المراجع:

أ-الكتب:

1- بوعزير يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة، د. ذ.ت.ط، الجزائر.

2- حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1 ،1978م.

3- جدي محمد، جولات تاريخية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1995م.

4- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعد بين، ج2، منشورات، در المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية ،1978م.

5- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، موفم للنشر، الجزائر ،1991م.

6- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج03، شركة دار الأمة، الجزائر، ط،2009م.

7- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، الجزء الأول، عالم المعرفة، طبعة خاصة الجزائر ،2011.

*سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، الجزء الثاني، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر ،2011.

*سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر ،1430هـ/2009م.

8- ستسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع تق عبد القادر رمادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط ،2006.

9-الطامر محمد، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984م.

10-العسلي بسام، حيز الدين بربروس والجهاد في البحر (1547-1470)، دار الفاس، ط1، 1980 م.

11-الكتاني محمج ين جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء، بفاس، تح: محمد حزة بن علي الكتاني، ج1، الموسوعة الكتابية.

12-الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، 1964م.

13-المدني توفيق، حرب الثلاثمائة سنة، بين الجزائر واسبانيا (1792-1492) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط ،1971م.

14-مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،2007م.

15-محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي والحديث، المغرب الأقصى، ليبية منشورات جامعة دمشق ،1999م.

16-مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر ،1349هـ/1930م.

17-هلايلي حنيفي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة ،2010م.

18-الناصري أبو العباس، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى ،1954م.

19-بدري يوسف علي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 1431هـ/2010م.

المراجع المعربة:

1- ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989م.

2- جون بوولف، الجزائر وأوروبا 1530/1500، تر تع: أبو القاسم سعد الله، 2009، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

ب-**المجلات:**

1-أرزقي شويتام، العلاقات الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر ،1433ه/2011.

ج-الرسائل الجامعية:

1- بن خروف عمار،' العلاقات بين الجزائر والمغرب'، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق ،1983 م.

2- بودبية أحمد، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب، تلمسان وفاس نموذجا في القرن 10 ه-16م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2 ،2010 -2011م.

3- نفادي مسعود، هجرة علماء، تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10ه/16م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،2014/2013م.

4- لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 925-1246ه/1520-1830م، رسالة الدكتوراه، اشراف محمد بن عمر قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1435ه/2014م.

د-المعاجم:

1- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2 ،1980م.

2- ضيف شوقي، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط1.

3- القاسمي عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005م.